مئة معلومة عن صحيح البخاري

فضيلة الشيخ

أحمد الجوهري عبد الجواد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ يسّر وأعنْ يا كريم

هذه نافذة أدوِّن فيها مئة معلومةٍ تقريبًا عن "صحيح البخاري" - رضي الله عنه وأرضاه، بمناسبة مجالس قراءة شرحه العظيم: "فتح الباري"، أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بهما وبها، آمين.

#مئة_معلومة_عن_صحيح_البخاري

فضيلة الشيخ:

أحمد الجوهري عبد الجواد

١٦ شعبان ١٤٤٥هـ ــ ٢٦ فبراير ٢٠٢٤

أولا: معلومات تتعلق بالمؤلف

١- **ملامح من حياة البخاري الشخصية:** صاحب الصحيح هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبة الجعفي البخاري – نسبة إلى بُخارى، الآن في أوزبكستان –، وكنيته: أبو عبد الله، وكنية أبيه أبو الحسن وكان من العلماء الورعين، رأى حمادَ بن زيد يصافح عبد الله بن المبارك بكلتا يديه في مكة، وسمع من مالك، وحدث عن أبي معاوية الضرير وجماعة، وروى عنه العراقيون، وقد قال عند موته: لا أعلم من مالي درهمًا من حرام ولا درهمًا من شبهة.

مات والبخاري صغير، وترك له إرثًا كان يضارب فيه.

ترجم له البخاري في التاريخ الكبير.

تربى البخاري في حجر أمه، وله أخ أكبر منه اسمه أحمد، وتعلم في المكتب، ولما بلغ ست عشرة سنة ـ وكان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف كلام أهل الرأي ـ حج مع أمه وأخيه وتركاه ليقيم في مكة على الطلب.

وكانت أمه متعبدة، كثيرة الدعاء والابتهال، ذات كرامة على الله؛ بحيث إن البخاري لما فقد بصره في صغره رأت الخليل صلى الله عليه وسلم في المنام فبشرها برجوع بصره إليه، فأصبحت وقد رد الله على ولدها بصره.

وقد أصيب البخاري ببعض ذلك في رحلته بعد ذلك وعافاه الله تعالى.

بين هذين الأبوين الكريمين وفي هذا الموطن ولد البخاري ـ رضي الله عنه ـ سنة (١٩٤ هـ)، وكان نحيف البدن ليس بالطويل ولا بالقصير.

وقد ابتلي البخاري في حياته مرّات بالأمراء والعلماء والطلاب والعامة، وتوفي بخَرْتَنك سنة (٢٥٦ هـ) طيّبًا مطِيبًا.

وقد كان للبخاري زوجة ولم يُعقب ذكَرًا.

****

٢- **البخاري مجاب الدعوة**: ذَكَر الأئمة أن البخاري ـ رضي الله عنه ـ كان مجاب الدعوة، وأنه دعا لقارئ كتابه الصحيح، وقد جرب العلماء ذلك فوجدوه، في السلم والحرب، في الشؤون العامة والشؤون الخاصة، في الصحة والمرض، في الشدة والفرج، في حصول المرادات ودفع البليّات.

وأخبارهم في هذا كثيرة.

قال العلامة عبد الحق ابن سيف الدين الدِّهْلَوي (ت ١٠٥٢ هـ) ـ فيما نقله عنه السيد صدِّيق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ)ـ: " وقد بلغ هذا المعنى عند علماء الحديث مرتبة الشهرة والاستفاضة ".

****

٣- **ملامح من حياة البخاري العلمية**: مرت حياة الإمام البخاري العلمية بمراحل:

الأولى: تلقى فيها القرآن والحديث بالكتّاب وطاف على شيوخ بلده يجمع الحديث: يسمع ويقرأ، ويتعلم الفقه، ويسأل في جميع ذلك.

وقد ظهر نبوغه في الحديث – في الحفظ والفهم وتمييز الصحيح من الضعيف وأحوال الرجال ومعرفة العلل – خلال مدة يسيرة فكانت منه لشيوخه مناقشات ومراجعات، ثم انتقل إلى البلاد المجاورة فالحواضر العلمية القريبة منها فجمع فيها علومًا خضع لها أساتذته وشيوخه وهابوه.

كل ذلك وهو دون السادسة عشرة.

وفي هذه المرحلة من حياة الإمام – التي تمثل التأسيس والتكوين – ما يرسم منهجية متكاملة في الطلب والدرس والبحث والنظر جديرة بالتأمل.

ثم انتقل البخاري إلى مرحلة ثانية هي الرحلة إلى الآفاق تلك التي أكب فيها على العلم وتنقل في طلب تحصيله بين المدن والبلدان بداية بمكة المكرمة ثم سائر الأمصار: الحجاز والعراق والشام ومصر، كرَّاتٍ، فلقي أكثر من ألف عالم من أعيان الشيوخ في أكثر من ست وأربعين سنة.

وقد كان في هذه البلاد مطلوبًا كما كان طالبًا، وفيمن يطلبه الشيوخ الذين يُكتب عنهم.

وفي تلك المرحلة بدأ التصنيف، ومن تصانيفه – في هذه المرحلة – التي وصلت إلينا: (التاريخ الكبير) وفيه (١٣٩٩٠) ترجمة تقريبًا، والبخاري في تصنيفه لكتبه: شديد الأناة، عظيم التدقيق، بالغ التحري، كبير الاحتياط.

وكما نسج الناس على منواله في تأليف الصحيح نسجوا كذلك على منواله في تصنيف التاريخ.

ثم انتقل البخاري – في مرحلة ثالثة – نقلة علمية عظيمة هي تلك التي صنف فيها الصحيح بعدما كانت المصنفات قبله تمزج بين الصحيح والحسن والضعيف وتحركت همته لتجريد الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين.

ولا ريب أن البخاري أحاط بجميع هذه المصنفات وعرف مواطن قوتها ومواضع ضعفها وارتسم في ذهنه ما تحتاجه لتحقيق غايتها من خدمة السنة.

وعندما سمع اقتراح شيخه ابن راهويه بجمع كتاب مختصر لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع ذلك في قلبه، وقوَّى عزمه رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام – ويرد ذكرها – فجمع (الصحيح) بعدما كان صنف كتاب (التاريخ الكبير) وكتاب (قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم) وكتاب "المبسوط" الذي وضع فيه جميع حديثه على الأبواب وهو الذي أخرج منه "الجامع الصحيح" أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى.

وبعد الصحيح بدأت مرحلة علمية رابعة في تاريخ البخاري هي تلك المرحلة التي اشتهر فيها شهرة فوق شهرته حيث ذاع صيته في الآفاق ورحلت الوفود إليه وطُلب علمه في الحواضر العلمية وراح هو يتنقل بينها للتعليم والإفادة حتى تخرج في حديثه وفقهه وهديه عشرات الألوف من أصقاع الدنيا التي احتفت به عظيم الاحتفاء.

وهذه مرحلة مليئة بالعظات والعبر تستحق أن تُفتَّش لتبعث وتنشر فإنها نافعة بجانبيها جانب العطاء وجانب الابتلاء الذي يأتي عادة معه.

****

٤- طبقات شيوخ البخاري:

– الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين، مثل: محمد بن عبد الله الأنصاري، ومكي بن إبراهيم.. وغيرهم، وهذه الطبقة هي أعلى شيوخه.

– الطبقة الثانية من كان في عصر الطبقة الأولى وتأخروا عنهم قليلًا لكنهم لم يسمعوا من ثقات التابعين، وقد حدث الإمام البخاري عن أتباع التابعين مثل: آدم بن أبي إياس، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي، وأيوب بن سليمان.. وغيرهم.

– الطبقة الثالثة: هي الوسطى من مشايخه – وهم: من لم يلقوا التابعين بل أخذوا عن كبار تبع الأتباع، مثل: سليمان بن حرب، قتيبة بن سعيد، ونعيم بن حماد.. وغيرهم.

– الطبقة الرابعة: قوم في طبقته، وهم رفقاؤه في الطلب، مثل: محمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة.. وغيرهم.

– الطبقة الخامسة: قوم حدث عنهم وهم في عداد طلبته في السن والإسناد والمعرفة، مثل: عبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي القاضي، وحسين بن محمد القَباني، ومحمد بن إسحاق السرّاج، ومحمد بن عيسى الترمذي.. وغيرهم.

وقد كان البخاري يقول: لا يكون المحدث كاملًا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه.

ولمعرفة الطبقات فوائد عديدة تجد بسط الكلام عليها في كتب المصطلح.

****

٥– **أبرز تلاميذه**: الإمام الجليل أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الورّاق من أخصِّ تلامذة الإمام البخاري يكتب له ويحفظ أوراقه ويروي عنه ويعنى بعلمه، وكان يلازم شيخه الإمام البخاري في السفر والحضر وهو الذي كتب جميع كتبه، وكان من المكثرين عنه العارفين به.

والوراق معناه: الناسخ.

والإمام محمد بن يوسف الفَرَبْري – وهو أشهر رواة الجامع الصحيح ونسخته من الجامع أتم النسخ – يذكر في هذه النسخة فوائد كثيرة عن البخاري رواها له أبو جعفر الوراق لم يتسن للفربري سماعها من البخاري مباشرة.

مثال: ورد عقب حديث في الصحيح في كتاب المظالم من طريق عبد الله بن المبارك: "قال الفربري: قال أبو جعفر بن أبي حاتم: قال أبو عبد الله: هذا الحديث ليس بخراسان في كتاب ابن المبارك، أملاه عليهم بالبصرة".

وقد ذكر الفربري عن أبي جعفر الوراق فوائد في الجامع الصحيح – كذلك – عن غير البخاري.

جمع أبو جعفر الوراق في ترجمة شيخه البخاري جزءًا ضخمًا سماه: "شمائل البخاري"، ثم كتب ذيلًا عليه.

وهما أول مصدرين لترجمة الإمام البخاري – والمصدران الوحيدان المباشران لها –.

ومن العجائب أن أبا جعفر الوراق –وهو بهذه المكانة العلية –: لم تفرد له ترجمة في كتب التراجم والرجال، بل لم يوقف له على تاريخ ولادة ووفاة.

****

٦- **البخاري فقيها مجتهدًا**: صحيح البخاري كتاب حديث وفقه، والبخاري إمام مجتهد مطلق، قد استخرج رضي الله عنه بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة.

ومما يدل على أن البخاري رضي الله عنه لم يقصد الاقتصار على الأحاديث فقط: وإنما أراد الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها: أنه أخلى كثيرًا من الأبواب، واقتصر على قوله: فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يورده معلقًا، وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها، وأشار إلى الحديث لكونه معلومًا.

وكل من دقق النظر في تراجم الصحيح تيقن أن البخاري ارتقى ذروة الاجتهاد، وقد جمع العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى شذرة من اختيارات البخاري الدالة على اجتهاده ووقوفه مع الدليل الذي يراه.

ومما ذكره من اختيارات البخاري:

– أن الغسل من التقاء الختانين دون إنزال لا يجب وإنما هو أحوط.

– وجواز غسل المني وفركه.

- وأن الماء لا ينجس بوقوع الرجس فيه إلا بالتغير.
- وطهارة السمن ونحوه إذا وقعت فيه فأرة ونحوها بإلقائها وما حولها مائعًا أو جامدًا.
- وأن من ألقي عليه نجاسة وهو يصلي لا تفسد صلاته.
- ومن رأى في ثوبه دمًا وهو يصلي ألقاه وأتم ولا إعادة عليه.
- وأن الجنب لا بأس بقراءته القرآن.
- وأن التيمم للوجه والكفين.
- وجواز الجمع بين فرضين وأكثر بتيمم واحد ما لم يحدث.
- وأن الجنب إذا خاف المرض من الماء البارد تيمم وصلى.
- وأن الفخذ ليس بعورة.
- وجواز سجود المصلي على ثوبه وفراشه.
- وسقوط الجمعة عمن صلى العيد.
- وجواز دخول المشرك المسجد.
- وجواز جمع المريض بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء.
- وجواز القنوت قبل الركوع وبعده.
- وأن للمرأة أن تُطعم من بيت زوجها بدون إذنه من غير إفساد.
- وجواز أداء الزكاة من الزوجة لزوجها وأيتامها.
- وجواز إيتائها للفقراء أينما كانوا.
- وجواز عيادة النساء للرجال كما عليه أهل القرى والبوادي بفطرتهم.
- وأن الطلاق عن نية وقصد إليه فلا يقع مطلقًا.
- وأن من قضى بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد.
- ووجوب العمرة.

وغيرها من الاختيارات التي تشهد لمقولة: فقه البخاري في تراجمه، أي: معرفة اجتهاده تدرك منها.

****

٧- **منهج البخاري في الرواية ومكانة تصانيفه:** الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ هـ) لقي ألوف العلماء وانتقى من كَتَب عنهم، يقول رضي الله عنه: "لم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل"، وقد أثنى عليه شيوخه وأقرانه وتلامذته وكل الذين خالطوه في صباه وشبابه وبقية حياته، وسيرته وشمائله وفضائله وزهده مضرب المثل، وهمته وعلمه وعمله في السماء بشهادة المتقنين المجودين.

وقد أحسن الإمام تصنيف كتبه، وفي المقدمة منها: (الجامع الصحيح) الذي حاز القبول من جميع أهل السنة في عصور الإسلام المتتابعة، وبهذا صار الكتاب الأول لأهل الإسلام بعد كتاب الله تعالى.

ولأجل هذا يجتهد أعداء الأمة من المستشرقين وأذنابهم في النيل منه والطعن فيه بجهالة.

ولا ينبغي لمسلم أن يعطي أولئك أذنه ليلقوا فيها شبهاتهم التي لا أساس لها من الصحة، وقبل هذا ينبغي أن يتعرف على هذا الكتاب من قرب لتكون عنده الثقة الكافية في مصادر دينه والحصانةُ اللازمة تجاه الألسنة المأجورة التي تسعى للنيل منه.

****

٨- **عقيدة البخاري:** أجمعت الأمة على إمامة البخاري رضي الله عنه وثقته وفضله، قال الذهبي رحمه الله تعالى: " البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم "، " وكان حافظًا علامة يتوقد ذكاء، وكان ورعًا تقيًّا كبير الشأن عديم النظير ".

والعناية بما كتبه في العقائد متحتم فليس البخاري إمامًا فردًا عندما يحكي الأقوال وينقل الآراء – خاصة في العقائد – فقد لقي رضي الله عنه أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر، لقيهم كرَّاتٍ.

يقول الإمام البخاري – رضي الله عنه –: "فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء أن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله تعالى... " إلخ.

وقال قبل موته بشهر: "كتبت عن ألف وثمانين رجلًا، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".

وقد أُثِر عن البخاري في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة:

- كتاب "خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل".

- وفي الجامع الصحيح: كتاب الإيمان، وكتاب القدر، وكتاب التوحيد.
- وكلماته المنثورة في سيرته.
- وجزء اعتقاد أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاري رحمه الله في جماعة من السَّلَف الذين روى عنهم للحافظ غنجار.
- نقول أهل العلم عنه في كتب الاعتقاد، مثل: اللَّالكَائي في السنّة، وغيرها، مثل: تاريخ ابن عساكر.

وهذا سياق جزء اعتقاد أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاري – رحمه الله – في جماعة من السَّلَف الذين روى عنهم، أخبرنا به مسنِد مكة الشيخ عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي، عن أبيه عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، عن أحمد بن عبد الله بن سالم البغدادي، عن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، عن جده محمد بن عبد الوهاب، عن عبد الله بن سيف الفرضي، عن أبي المواهب محمد البَعْلي، عن محمد بن بدر الدين البَلْباني، عن الشهابين أحمد بن علي الوَفائي وأحمد بن يونس العَيْثاوي، كلاهما عن الشمس محمد بن طُولون، عن أمَة الخالق العقبية وغيرها، عن عائشة بنت عبد الهادي، عن زينب بنت الكمال المقدسية، عن عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب، أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أخبرنا أحمد بن علي الطُّرَيْثيثي، أخبرنا هبة الله بن الحسن اللالكائي، قال رحمه الله تعالى:

أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص الهَرَوي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن «سلمة»، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عِمْران بن موسى الجُرْجاني، قال: سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البُخاري بالشّاش يقول:

سمعتُ أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاريَّ يقول:

(لَقيتُ أكثر من أَلْفِ رَجُلٍ من أهل العِلْم: أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسِط وبَغْداد والشام ومِصْر، لقيتُهم كَرّاتٍ، قَرْنًا بعد قرنٍ ثم قرنًا بعد قرن، أدركتُهم وهم متوافرون منذُ أكثر من ستٍّ وأربعين سنة، أهل الشام ومِصْر والجزيرة مرتين، والبَصْرة أربع مراتٍ في سنين ذوي عَدَدٍ، وبالحجاز ستة أعوام.

ولا أُحصي كم دخلتُ الكُوفة وبَغْداد مع محدِّثي أهلِ خُراسان، منهم: المَكّيُّ بنُ إبراهيم، ويحيى بنُ يحيى، وعليُّ بنُ الحسنِ بنِ شَقيق، وقُتيبةُ بنُ سَعيد، وشِهابُ بنُ مُعَمَّر.

وبالشام: محمدَ بنَ يوسُفَ الفِرْيابيَّ، وأبا مُسْهِر عبدَ الأعلى بنَ مُسْهِر، وأبا المغيرة عبدَ القُدّوس بنَ الحَجّاج، وأبا اليَمان الحَكَم بنَ نافع، ومَنْ بعدَهم عدّةٌ كثيرة.

وبمِصْر: يحيى بنَ بُكَير، وأبا صالح كاتِبَ اللَّيثِ بنِ سَعْد، وسَعيدَ بنَ أبي مَرْيم، وأَصْبَغَ بنَ الفَرَج، ونُعَيمَ بنَ حَمّاد.

وبمَكّة: عبدَ الله بنَ يَزيد المُقْرئَ، والحُمَيديَّ، وسُليمانَ بنَ حَرْب قاضي مكة، وأحمدَ بنَ محمد الأَزْرَقيَّ.

وبالمدينة: إسماعيل بنَ أبي أُوَيس، ومُطَرِّفَ بنَ عبد الله، وعبدَ الله بنَ نافع الزُّبَيْريَّ، وأحمدَ بنَ أبي بكر أبا مُصعب الزُّهْرِيَّ، وإبراهيمَ بنَ حَمْزة الزُّبَيْريَّ، وإبراهيمَ بن المُنْذِرَ الحِزَاميَّ.

وبالبَصْرة: أبا عاصِم الضَّحّاكَ بنَ مَخْلَد الشَّيْبانيَّ، وأبا الوَليد هشامَ بنَ عبدِ الملك، والحَجّاجَ بنَ المِنْهال، وعليَّ بنَ عبدِ الله بنِ جَعْفر المَدِينيَّ.

وبالكُوفة: أبا نُعَيم الفَضْلَ بنَ دُكَين، وعُبيدَ الله بنَ موسى، وأحمدَ بنَ يونُس، وقَبِيصَةَ بنَ عُقْبَة، وابنَ نُمَيْرٍ، وعبدَ الله، وعثمان ابنا أبي شَيْبة.

وببَغْداد: أحمدَ بنَ حَنْبَل، ويحيى بنَ مَعين، وأبا مَعْمَر، وأبا خَيْثَمة، وأبا عُبيدٍ القاسمَ بنَ سَلَّام.

ومن أهل الجَزيرة: عَمْرو بنَ خالد الحرّانيَّ.

وبِواسِط: عَمْرو بنَ عَون، وعاصمَ بنَ علي بنِ عاصم.

وبمَرْو: صَدَقة بنَ الفَضْل، وإسحاقَ بنَ إبراهيم الحَنْظَليَّ.

واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختَصرًا، وأن لا يطول ذلك، فما رأيتُ واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء:

١) أن الدِّين قولٌ وفعلٌ، وذلك لقول الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

٢) وأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، لقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: قال ابنُ عُيَيْنَة: فبَيَّنَ اللهُ الخَلْقَ مِنَ الأَمْرِ، لقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

٣) وأنَّ الخيرَ والشرَّ بقَدَرٍ، لقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾. ولقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. ولقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

٤) ولم يكونوا يكفِّرونَ أَحَدًا من أهل القِبْلةِ بالذَّنْبِ، لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

٥) وما رأيتُ فيهم أَحَدًا يتناول أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم، قالت عائشةُ: «أُمِروا أن يَسْتَغْفِروا لهم». وذلك قولُه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

٦) وكانوا يَنهونَ عن البِدَعِ: ما لم يَكُنْ عليهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه، لقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. ولقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.

٧) ويحثُّونَ على ما كان عليهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأتباعُه، لقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٨) وأن لا يُنازَعَ الأَمْرَ أَهْلُهُ، لقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قَلْبُ امرئٍ مُسْلِمٍ: إخلاصُ العملِ لله، وطاعةُ وُلاةِ الأَمْرِ، ولزومُ جماعَتِهم، فإنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحيطُ مِنْ وَرائهم». ثُمَّ أَكَّدَ في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

٩) وأن لا يُرَى السَّيْفُ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٠) وقال الفُضيل: لو كانت لي دعوةٌ مستجابةٌ لم أَجْعَلْها إلا في إمامٍ، لأنه إذا صَلَحَ الإمام أَمِنَ البلادُ والعِباد.

قال ابنُ المُبارَك: يا مُعَلِّمَ الخيرِ مَنْ يجترئُ على هذا غيرُك؟!).

فيجب على طالب العلم والهدى لزوم هذا الاعتقاد وما كان مثله مما رواه وقاله هذا الإمام العلم.

****

٩- **جمع البخاري بين العلم والعمل**: جمع أئمتنا – رضوان الله عليهم – بين العلم والعمل فرفع الله أقدارهم وأبقى آثارهم ونفع بعلومهم وعملهم، وقد كان الإمام البخاري – رضي الله عنه – بالمحل العظيم في جانب العمل كما هو في جانب العلم، ومما ذكر في ذلك:

– زهده وورعه:

قال سليم بن مجاهد بن يعيش: "ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه، ولا أورع، ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل".

– تلاوته القرآن الكريم:

قال مسبِّح بن سعيد: "كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة".

– حفظ لسانه:

قال – رحمه الله تعالى –: "أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا".

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: "سمعته يقول: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها".

– عبادته:

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: أخبرني محمد بن خالد، حدثنا مِقسم بن سعد، قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة.

وقال الوراق: "وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة".

قال محمد بن أبي حاتم: دُعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما صلى بالقوم الظهر قام يتطوع، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئًا؟ فإذا زنبور قد أبَّره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا وقد تورم من ذلك جسده، فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبَّرك؟ قال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمها.

– توقيره المسجد:

قال محمد بن منصور: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قَذاة، فطرحها على الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض، فأدخلها في كمِّه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

– ترك الفُضول:

قال الحسين بن محمد السمرقندي: "كان محمد بن إسماعيل مخصوصًا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس، كل شغله كان في العلم".

– كرمه وسماحته.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: "وكان يتصدق بالكثير، يأخذ بيده صاحبَ الحاجة من أهل الحديث، فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحد، وكان لا يفارقه كيسه، ورأيته ناول رجلًا مرارًا صرة فيها ثلاثمئة درهم –وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد– فأراد أن يدعو، فقال له أبو عبد الله: ارفق، واشتغَل بحديث آخر كيلا يعلم بذلك أحد.

– صِدْق أُخوَّته:

قال إسحاق بن أحمد بن خلف: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري فورد عليه كتاب فيه نعي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، فنكس رأسه، ثم رفع، واسترجع، وجعل تسيل دموعه على خديه، ثم أنشأ يقول:

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم ... وفناء نفسك لا أبا لك أفجع

ثم قال إسحاق: ما سمعناه ينشد إلا ما يجيء في الحديث.

– ورعه:

قال أبو سعيد بكر بن منير: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين، فدفعها إليهم وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

وقال الوراق: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ فقال: رويت حديثًا يومًا، فنظرت إليك وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ويديك، فتبسمت من ذلك، قال: أنت في حل يرحمك الله يا أبا عبد الله.

قال: وسمعته يقول: دعوت ربي مرتين فاستجاب لي؛ يعني في الحال، فلن أحب أن أدعو بعد فلعله ينقص حسناتي.

والمحفوظ عنه في ذلك وفي التمسك بالسنة وحسن الصحبة وسماحة النفس وطيب الخلق والاحتياط للحلال والتعفف وغيرها من الشمائل والفضائل وجميل الخصائل شيء كثير عظيم.

رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا بكتابه وجميع مصنفاته ورزقنا الأسوة والقدوة بعلومه وأعماله.

****

١٠- **ثناء الأئمة على الإمام البخاري:** أثنى على الإمام البخاري شيوخه ورفاقه وتلامذته ومن بعده من الأئمة إلى وقتنا هذا.

فمن كلام شيوخه:

- **قتيبة بن سعيد:** "جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة"، وعن قتيبة أيضًا قال: "لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية".

- **أحمد بن حنبل:** "ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل"، ولما سأله ابنه عبد الله عن الحفاظ، فقال: "شبَّان من خراسان، فعده فيهم فبدأ به".

- **يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ونعيم بن حماد الخزاعي:** "محمد بن إسماعيل البخاري فقيه هذه الأمة".

- **بُندار محمد بن بشار:** "هو أفقه خلق الله في زماننا".

ومن كلام رفاقه:

- **أبو حاتم الرازي:** "لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه".

- **العِجلي:** "ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلمٌ حافظ ولكنه لم يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل، ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه، وكان أمة من الأمم دينًا فاضلًا، يحسن كل شيء، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا".

- **عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي:** "قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل"، "هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبًا"، " محمد بن إسماعيل أبصر مني،

وهو أكيس خلق الله، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه من كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حلاله من حرامه".

- **ابن خزيمة:** "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل".

ومن كلام تلامذته:

- **أحمد بن حمدون القصار قال: سمعت مسلم بن الحجاج،** وجاء إلى محمد بن إسماعيل فقبَّل بين عينيه، وقال: "دعني حتى أقبِّل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله".

- **الترمذي:** "لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كثيرَ أحد أعلم من محمد بن إسماعيل".

ومن كلام أئمة الدنيا بعده:

- **الحازمي:** "وأما البخاري فكان وحيد دهره وقريع عصره إتقانًا وانتقادًا وبحثًا وسبرًا، وبعد إحاطة العلم بمكانته من هذا الشأن لا سبيل إلى الاعتراض عليه في هذا الباب".

- **ابن كثير:** "هو إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدَّم على سائر أضرابه وأقرانه".

- **ابن حجر العسقلاني:** "ولو فتحتُ باب ثناء الأئمة ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس ونفدت الأنفاس، فذاك بحر لا ساحل له".

وكتب التراجم التي قدمتُ ذكر بعضها تنبيك من ذلك بالكثير.

****

١١- تصانيف البخاري: تصانيف الإمام البخاري فائقة الحسن، وهي كثيرة متنوعة في الحديث والتاريخ والتراجم والعقيدة والتفسير والفقه والآداب والرقائق، وهذه جميع مصنفاته:

١- الأدب المفرد.

٢- أسامي الصحابة.

٣- الأشربة.

٤- الاعتصام.

٥- انتقاء البخاري من حديثه لأهل بغداد.

٦- بر الوالدين.

٧- التاريخ الأوسط.

٨- التاريخ الصغير.

٩- التاريخ الكبير.

١٠- التفسير الكبير.

١١- الجامع الكبير.

١٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه.

١٣- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل.

١٤- رفع اليدين في الصلاة.

١٥- السنن في الفقه.

١٦- الضعفاء الصغير.

١٧- الضعفاء الكبير.

١٨- العلل.

١٩- الفوائد.

٢٠- القراءة خلف الإمام.

٢١- قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم.

٢٢- الكنى.

٢٣- المبسوط.

٢٤- المسند الكبير.

٢٥- المشيخة.

٢٦- الهبة.

٢٧- الوُحدان.

وقد نسبت إليه رضي الله عنه كتب أخرى غير هذه لكن نسبتها إليه لا تصح.

****

١٢- أثر حياة البخاري العلمية على الصحيح: بعض معالم منهج الإمام البخاري في كتابه "الجامع الصحيح" تجليها سيرته الكريمة من خلال:

- حياته من المولد إلى الوفاة بأطوارها.
- دراسة مسيرته العلمية بمراحلها ومؤثراتها.
- التفتيش عن أخلاقه وفضائله وآثارها.
- الوقوف على كتبه ومصنفاته وطرائقها.

فمن درس ذلك دراسة متأنية مستوعبة ثم ربط بينها وفتشها ونظر في كلام المترجمين النابهين عليها أمكنه أن يستخرج من خلال ذلك دررًا تكشف له عن كثير من معالم منهجه.

ومن أمثلة ما يتجلى فيه ذلك بوضوح: ترجمة الإمام أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤ هـ) للإمام البخاري في كتابه: "التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح".

****

١٣- أفضل من ترجم للبخاري: من قرأ ترجمة الإمام البخاري في الكتابين التاليين استغنى بهما غالبًا عن غيرهما:

- تاريخ بغداد، للخطيب (ت ٤٦٣ هـ).
- سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت ٧٤٨ هـ).

ومنهما - خاصة ترجمة الذهبي - تكتمل ترجمة حافلة محيطة واعية شاملة وافية، دقيقة موثقة محكمة، منقحة مرتبة منظمة، منتقاة منتخبة مغربلة ممحصة منتقدة، جريئة منصفة، صادقة ورعة، فقراته في الأغلب معنونة.

ومن ثم كانتا مقصد الباحثين وعمدة المترجمين وموئل الكتاب والمحررين.

****

ثانيا: ملامح عن الصحيح ومنهج مؤلفه فيه

١٤- اسمه، واسم مؤلفه: اسمه: (الجامعُ المسندُ الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، واسمُ مؤلفه: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.

****

١٥- مطابقة اسمه لمحتواه: عرّف الإمام البخاري ـ رضي الله عنه ـ صحيحه ومقصده به ومنهجه فيه من خلال اسمه الذي سماه به: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه".

ومعنى "الجامع": الذي جمع الفنون الأربعة: فن السنة ـ الفقه ـ، وفن التفسير، وفن السيرة، وفن الزهد والرقائق.

أو الفنون الثمانية: أحاديث العقائد، وأحاديث الأحكام، وأحاديث الرقائق، وأحاديث آداب الأكل والشرب، وأحاديث السفر والقيام والقعود، والأحاديث المتعلقة بالتفسير والتاريخ والسير، وأحاديث الفتن والمناقب والمثالب

ومعنى "المسند": المرفوع من الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، المتصل سندها ببعض الصحابة رضوان الله عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم سواء كانت من قول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره.

وبهذا نعلم أن ما وقع في الكتاب مما يخالف ذلك إنما وقع فيه تبعًا وعرَضًا لا أصلًا ومقصودًا.

****

١٦- بيان شرطه من خلال كلمة (الصحيح) في الاسم: معنى (الصحيح) من قول الإمام البخاري في اسم كتابه: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه":

أنه يلتزم فيه الصحة ولا يورد فيه إلا حديثًا صحيحًا لا يرتاب فيه، ولهذا قال رضي الله عنه: "ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب"، وغير ذلك مما هو في معناه من كلماته وهي كثيرة.

ومن هذا نفهم أن الجامع ليس فيه شيء ضعيف عند البخاري، وإن كان فيه مواضع قد انتقدها غيره، وحصل الاعتناء بالجواب عن ذلك كما في هدى الساري للحافظ ابن حجر.

والبخاري رضي الله عنه هو أول من صنف الصحيح المعتبر عند أئمة الحديث الموصوف بالاتصال وكان رواته ثقاتًا وليس به شذوذ ولا علة.

****

١٧- دلالة كلمة (المختصر) في الاسم: وكلمة (المختصر) من قول الإمام البخاري في اسم كتابه: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه:

تدل على أنه رضي الله عنه لم يستوعب جميع الأحاديث الصحيحة فيه وهو الذي يحفظ مئات الألوف من الأحاديث، فيها فوق مئة ألف حديث صحيح، وأيضًا لم يقصد الاستيعاب في الرجال.

قال البخاري: صنفت كتابي "الصحاح" لست عشرة سنة، خرجته من ستمئة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله تعالى"، "وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب".

ورغم اختصاره فما اشتمل عليه من أحاديث هي أصول الأحاديث.

****

١٨- مختصرات اسمه: من مختصرات الاسم المتداولة: (صحيح البخاري) . (الجامع الصحيح) . (البخاري الشريف).

****

١٩- التفضيل بينه وبين صحيح مسلم: كتاب البخاري أصح من كتاب مسلم – من جهة صحة الإسناد – وأكثر فوائد وأفضل، بشهادة ثقات الأئمة وكبار النقدة الذين يعتد بكلامهم ويخضع لحكمهم.

ويؤيد هذا ما اشتمل عليه من الاستنباطات الفقهية والنكت الحكمية وغير ذلك مما بسطه العلماء في هذا الموضع من كتب علوم الحديث.

وكتاب مسلم أدق من جهة متابعات الأسانيد وترتيبها.

****

٢٠- مدح الشعراء له: مَدَح الشعراء من الأئمة والعلماء وغيرهم الصحيح ومؤلفه، ومن هؤلاء: الأديب الأريب الفاضل اللبيب الفضل بن إسماعيل الجرجاني بقوله:

صحيحُ البخاريّ لو أنصفوهُ ... لما خُطَّ إلا بماء الذهَبْ

هو الفَرقُ بين الهدى والعَمى ... هو السدُّ بين الفتى والعَطَبْ

أسانيدُ مثلُ نجومِ السماءِ ... أمامَ مُتونٍ كمثْلِ الشُّهُبْ

به قامَ ميزانُ دينِ النبي ... ودانَ به العُجْمُ بعدَ العَرَبْ

حجابٌ من النارِ لا شكَّ فيه ... يُمَيِّزُ بين الرضا والغَضَبْ

وخيرُ رفيقٍ إلى المُصطفى ... ونورٌ مبينٌ لكشفِ الرِّيَبْ

فيا عالِمًا أجمعَ العالمون ... على فضل رتبتِه في الرُّتَبْ

سبقتَ الأئمةَ فيما جَمَعْتَ ... وفُزْتَ على رغمهم بالقَصَبْ

نَفَيْتَ السقيمَ من الناقلين ... ومن كان متَّهَمًا بالكذِبْ

وأَثبَتَّ من عدَّلَتْهُ الرواةُ ... وَصَحَّتْ روايتُهُ في الكُتُبْ

وأبرزْتَ في حسنِ ترتيبِهِ ... وتبويبِهِ عَجَبًا للعَجَبْ

فأعطاكَ ربُّكَ ما تشتهيهِ ... وأجزَلَ حظَّكَ فيما يَهَبْ

****

٢١- سبب تأليفه: سبب تأليف البخاري لصحيحه:

- اقتراح شيخه؛ قال البخاري: "كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال: لو جمعتم كتابًا لسنة النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب ".

- ورؤيا رآها: فقد رأى النبي ﷺ في المنام، يقول: " وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح ".

****

٢٢- مدة تصنيفه: مكث الإمام البخاري في تصنيف كتابه قريبًا من أربعين سنة، قضى منها في جمعه وتأليفه: ست عشرة سنة، وبقيتها في تهذيبه وتحريره وترتيبه وتبويبه والزيادة فيه.

****

٢٣- الأماكن التي صنفه فيها: ابتدأ الإمام البخاري تصنيف صحيحه وترتيب أبوابه في المسجد الحرام بمكة، وأكمله خلال رحلاته إلى المدينة والبصرة وبخارى، ويدل على ذلك قوله: " إنه أقام فيه ست عشرة سنة "، وقد حوَّل تراجمه من المسَوَّدَة إلى المبَيَّضة بين القبر والمنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

****

٢٤- كيفية تأليفه: من أحوال البخاري مع الصحيح:

ألَّفَ الإمام البخاري صحيحه ثلاث مرات، وكان دائم التهذيب والتنقيح فيه إلى أن توفي، وكان يمليه على وراقه الملازم له أبي جعفر محمد بن أبي حاتم.

ولم يدخل فيه حديثًا إلا بعد أن استخار الله تعالى وتيقن صحته، يقول البخاري: " خرجته من ستِّمئة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى ".

وكان يغتسل قبل كل مجلس من مجالس إملائه ويصلي ركعتين؛ يقول البخاري: " ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ".

ثم عرضه على أئمة زمانه: ابن حنبل وابن معين وابن المديني، وأبي زرعة.. إلخ، وقرأه على عَشَراتِ الألوف من العلماء والشيوخ والطلاب، وانتقلت نسخته الأصلية بعد وفاته إلى تلميذه محمد بن يوسف الفِرَبْري، ومنها نسخ وانتشر واشتهر، ووصل إلينا بطريق التواتر في كل جيل من عهد مؤلفه إلى اليوم.

****

٢٥- مقصود تأليفه: مقصود البخاري في صحيحه: ذِكْرُ الأحاديث، والاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أرادها، والاحتجاج لمسائل ترجم لها.

****

٢٦- شرط الإمام فيه: لم يصرح البخاري بشرطه في أحاديث الجامع الصحيح، واستنبط العلماء أنه لا يدخل فيه إلا ما اتصل سنده، بنقل العدول الضابطين، من غير شذوذ ولا علة، وأن يكون كل راو قد ثبت لقاؤه بشيخه الذي يروي عنه إذا لم يصرح بالسماع منه مرة.

****

٢٧- حرص الإمام على دقته: حرِص البخاري على دقة وإتقان صنيعه؛ فبيّض الإمام البخاري كتابه الصحيح في حياته وهذبه ونقحه ورتبه وأتمه وأكمله، وقد وقع هذا منه ثلاث مرات، يقول البخاري: " صنفت جميع كتبي ثلاث مرات "، ومن ثم أخرجه للناس فأقرأه وأسمعه مرات عديدة في بلدان كثيرة، ولشدة تحريه وتثبته كان دائم النظر فيه يقدم ويؤخر ويزيد وينقص.

٢٨- المراحل الختامية في تأليف الصحيح: فَرَغ الإمام البخاري رضي الله عنه من تأليف كتابه (الجامع الصحيح) قبل وفاته بثلاثة وعشرين عامًا، وعرضه على أئمة الحديث ونقَّاده في زمانه فاستحسنوه، وحدَّث به مرات لا تحصى وفي بلدان مختلفة بلغ من سمعه منه أكثر من تسعين ألفًا ومنهم الأئمة الأكابر ذوو الشأن، وكتبه ثلاث مرات، وأخذ الناس لأنفسهم نسخًا في حياته.

وهذا وغيره يؤكد على أن البخاري بيَّض كتابه ولم يتركه مسوَّدة، مع ما وُجد من إلحاقات في الهوامش في نسخة الأصل التي كانت عند تلميذه الإمام محمد بن يوسف الفربري.

ويؤكد على أنه كان مطمئنًا إلى جميع ما أثبته فيه، لكن ترك مواضع بياضًا رجاء أن يضيفها فيما بعد فلم يتفق ذلك.

****

٢٩- دلالة الصحيح على سعة علم مؤلفه وتنوعه: يشهد الجامع الصحيح لمصنفه بالتقدم في استنباط المسائل الدقيقة، وبالاطلاع على اللغة والتوسع في ذلك، وبإتقان العربية والصرف، وبما يعجز عنه الواصف، ومن تأمل اختياراته الفقهية في جامعه علم أنه كان مجتهدًا.

وفي هذا رد على أولئك الذين يتحدثون عن عُجمة البخاري وأن العجمة تمنع من تمام الفهم والتحقيق.

وقول صالح بن محمد (جزرة): " ما رأيت خراسانيًّا أفهم منه، لولا عِيٌّ في لسانه "، لا يفيد أكثر من أنه كانت عنده حُبسة عند نطق بعض الحروف، ولا يعني ذلك وقوع اللحن منه ولا عدم إجادة العربية أو نحوهما.

****

٣٠- ثناء الأئمة على الصحيح باختصار: تواترت كلمات الأئمة من كل عصر في الثناء على الجامع الصحيح للإمام البخاري - رحمه الله تعالى - ومن هذه الكلمات:

- الإمام النسائي: " ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري ".

- الإمام أبو إسحاق الإسفراييني: " أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها ".

- الإمام أبو عمرو ابن الصلاح: " وكتاباهما - البخاري ومسلم - أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ".

- الإمام النووي: " اتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا البخاري ومسلم، واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحًا وأكثرهما فوائد ... وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين [البخاري ومسلم] ووجوب العمل بأحاديثهما ".

- الإمام ابن كثير: " أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام ".

****

٣١- ثناء الأئمة على الصحيح بتوسع: ثناء الأئمة على الجامع الصحيح:

تواترت كلمات الأئمة عبر العصور في الثناء على الجامع الصحيح للإمام البخاري رضي الله عنه، ومن أقوالهم في هذا:

- الإمام النسائي (ت ٣٠٣ هـ): "ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري".
- الإمام أبو جعفر العقيلي (ت ٣٢٢ هـ): "لما صنف البخاري كتاب "الصحيح" عرضه على: ابن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة، إلا أربعة أحاديث"، قال العقيلي: "والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة".
- الإمام أبو بكر الإسماعيلي (٣٧٠ هـ): "نظرت في كتاب "الجامع" الذي ألفه أبو عبد الله البخاري فرأيته جامعًا - كما سمَّى - لكثير من السنن الصحيحة، ودالًّا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث ونقلته والعلم بالروايات وعللها علمًا بالفقه واللغة، وتمكنًا منها كلها، وتبحرًا فيها، وكان يرحمه الله الرجل الذي قصَر زمانَه على ذلك، فبرع وبلغ الغاية، فحاز السبق، وجمع إلى ذلك حسن النية والقصد للخير، فنفعه الله ونفع به".

● الإمام أبو أحمد الحاكم الكبير (ت ٣٧٨ هـ):

- "كان البخاري أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت: إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن؛ لرجوت أن أكون صادقًا".

- وقال: "رحم الله محمد بن إسماعيل؛ فإنه ألف الأصول - يعني: أصول الأحكام من الأحاديث - وبيَّن للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه".

● الإمام الخطابي (ت ٣٨٨): ".. فصار هذا الكتاب كنزًا للدين وركازًا للعلوم، وصار بجودة نقده وشدة سبكه حكَمًا بين الأمة فيما يُراد أن يُعلم من صحيح الحديث وسقيمه وفيما يجب أن يُعتمد ويُعول عليه منه".

● الإمام عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ): "الإمام أبو عبد الله الجعفي مولاهم البُخَاري صاحب "الصحيح"، إمام هذا الشأن والمُقْتَدَى به فيه والمعَوَّل على كتابه بين أهل الإسلام".

● الإمام ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ): ".. وكتاباهما – أي: البخاري ومسلم - أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز".

● الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ): "اتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة: صحيحا البخاري ومسلم، واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحًا وأكثرهما فوائد".

● الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ): قال القاسم بن يوسف السبتي التُّجيبي (ت ٧٣٠ هـ): "وكان من جملة الوصية التي أوصاني بها التقي الفاضل أبو العباس ابن تيمية أن قال: "ما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل"، وصدق ابن تيمية، والله تعالى يفهمنا ما فيه، ويرشدنا للعمل بمقتضاه بمنّه وكرمه".

● الإمام المزي (ت ٧٤٢ هـ): "وكان من أحسنها تصنيفًا - يعني الكتب في السنة -، وأجودها تأليفًا، وأكثرها صوابًا، وأقلها خطأً، وأعمها نفعًا، وأعودها فائدة، وأعظمها بركة، وأيسرها مئونة، وأحسنها قبولًا عند الموافق والمخالف، وأجلها موقعًا عند الخاصة والعامة؛ صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري".

● الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ):

-"أجلُّ كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى".

-"لو رحل الشخص لسماعه ألف فرسخ لما ضاعت رحلته".

-"ولو رحل الرجل من مسيرة سنة لسماعه لما فرط..، وهو أعلى الكتب الستة سندًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شيء كثير من الأحاديث؛ وذلك لأن أبا عبد الله أسن الجماعة، وأقدمهم لقيًّا للكبار، أخذ عن جماعة يروي الأئمة الخمسة عن رجل عنهم".

- الإمام تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ): "أجلُّ كتب الإسلام بعد كتاب الله عز وجل".
- الإمام شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ): "أجلُّ الكتب الصحيحة نقلًا ورواية وفهمًا ودراية، وأكثرها تعديلًا وتصحيحًا، وضبطًا وتنقيحًا واستنباطًا".
- الإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

-"اختص بالمرتبة العليا ووصف بأنه لا يوجد كتاب بعد كتاب الله مصنف أصح منه في الدنيا، وذلك لما اشتمل عليه من جمع الأصح والصحيح، وما قُرِن بأبوابه من الفقه النافع الشاهد لمؤلفه بالترجيح، إلى ما تميز به مؤلفه عن غيره بإتقان معرفة التعديل والتجريح.

هذه بعضها وإلا فكلماتهم رحمهم الله تعالى فيه لا تحصى.

****

٣٢- إجماع الأئمة على تلقيه بالقبول: أجمعت أمة الإسلام على تلقي الصحيحين بالقبول، ومن الأئمة الذين حكوا هذا الإجماع:

- الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨ هـ): "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بها عن صاحب الشرع، وإن حصل الخلاف في بعضها فذلك خلاف في طرقها ورواتها".
- الإمام الجويني (ت ٤٧٨): "لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في الصحيحين مما حكما بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق لإجماع علماء المسلمين على صحته".
- الإمام ابن الصلاح (ت ٦٤٣): "إن الأمة تلقت هذين الكتابين بالقبول".
- الإمام النووي (ت ٦٧٦): "أجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين – البخاري ومسلم – ووجوب العمل بأحاديثهما".
- الإمام ابن كثير (ت ٧٧٤): "أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام".

– الإمام بدر الدين العيني (ت ٨٥٥): "اتفق علماء الشرق والغرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصح من صحيحي البخاري ومسلم".

وغيرهم من الأئمة الأعلام – رحمة الله تعالى عليهم أجمعين–.

****

٣٣– التحذير من تهوين شأنه: أهل الإسلام يعرفون لصحيح الإمام البخاري مكانته وجلالته وقدره وعظمته، ولا يهوِّن من شأنه إلا المبتدعة:

قال العلامة ولي الله الدِّهلوي (ت ١١٧٦): "أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفَيهما، وأن كل من يهوّن أمرهما فهو مبتدع، متبع غير سبيل المؤمنين".

****

٣٤– فوائد سماع الصحيح: سماع البخاري بالسند المتصل:

من الشرف العظيم والفضل العميم أن يتصل المسلم بالجامع الصحيح للإمام البخاري رضي الله عنه أصحِّ الكتب في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق سماعه على العلماء المكرمين والمشايخ المسنِدين.

فليحرص كل مسلم على حضور مجلس سماعٍ للكتاب وهي بحمد الله تعالى وافرة.

وسوف يستفيد مع سماع الكتاب فوائد عديدة في العلم والعمل، من عقيدة وعبادة وخُلُق، وثواب وأجر وفضل.

وليحرص على علو الإسناد والإتقان في الشيخ المسمِع.

وإذا اجتمع العلو مع دراية الشيخ وفقهه وكان يذكر فوائد أثناء المجلس فقد تم الخير وكمل.

ومن لم يستطع سماع البخاري كله فليسمع ثلاثياته، وهي اثنان وعشرون حديثًا.

****

٣٥- بركة قراءة الصحيح: تعددت كلمات الأئمة والعلماء في التنويه ببركة قراءة الجامع الصحيح للإمام البخاري رضي الله عنه، ومن ذلك:

- ابن أبي جمرة (ت ٦٧٥ هـ): "قال لي من لقيتُ من العارفين - عمّن لقيه من السادة المُقَرّ لهم بالفضل-: إن صحيح البخاري ما قُرئ في شدّة إلا فرجت، ولا رُكِب به في مركب إلا نجت، وكان البخاري مجابَ الدعوة وقد دعا لقارئه".
- ابن كثير: "كتاب البخاري (الصحيح) يستسقى بقراءته الغمام".
- عبد الحق الدِّهلوي - فيما نقله عنه السيد صدِّيق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ)-: "قرأ كثير من المشايخ والعلماء والثقات صحيح البخاري لحصول المرادات، وكفاية المهمات..، وقضاء الحاجات، ودفع البليات، وكشف الكربات، وصحة الأمراض، وشفاء المرضى، عند المضايق والشدائد، فحصل مرادهم..، وفازوا بمقاصدهم، ووجدوه كالترياق مجربًا .. وقد بلغ هذا المعنى عند علماء الحديث مرتبة الشهرة والاستفاضة".
- المحدث أَصِيل الدين الإيجي (ت ٩٠٤) هـ): "قرأتُ صحيح البخاري نحو عشرين ومائة مرة في الوقائع والمهمات لنفسي وللناس، فبأيّ نيّة قرأتُه حصل المقصودُ وكفى المطلوب".
- عبد الرحمن المباركفوري: "أجاز كثير من أهل العلم في هذا الزمان قراءة (صحيح البخاري) وختمه لشفاء الأمراض ودفع المصائب وحصول المقاصد".

وغيرهم - رحمهم الله تعالى -.

****

٣٦- طرق رواية الحديث وتصنيفه، وطريقة البخاري: يتحدث العلماء في "مناهج المحدثين" عن الطرق التي سلكها المحدثون في رواية الحديث وتصنيفه وما يتبع ذلك من مقاصد.

وهذه الطرق نوعان:

- عامة.
- وخاصة.

وهذا في الأغلب، وإلا فإن بعض مصنفات علم مناهج المحدثين وقع فيها تداخل بين النوعين، وبعض المصنفات التي تحمل هذا العنوان ليست منه في شيء.

وتلك الأخيرة –الطريقة الخاصة– هي التي تصف لنا ما صنعه الأئمة (مالك، أحمد، البخاري.. إلخ) في مصنفاتهم في الحديث (الموطأ، المسند، الجامع الصحيح.. إلخ) ومن جملة هذا الوصف: بيان شروطهم في الأحاديث التي تحتوي عليها هذه المصنفات.

فهم – بخصوص موضوعنا مثلًا – يقولون: إن غرض البخاري في صحيحه: تخريج الأحاديث المتصلة، واستنباط الفقه والسيرة والتفسير، فذكر عرَضًا: الموقوف والمعلق وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء الرجال، فتقطعت عليه متون الأحاديث وطرقها في أبواب كتابه.

والإمام البخاري لم يفصح عن معالم منهجه الذي اتبعه في تصنيف الجامع الصحيح كما فعل الأئمة: مسلم في مقدمته وأبو داود في رسالته والترمذي في علله، وإنما استنبط العلماء معالم منهجه من خلال:

- اسم كتابه.
- وبعض كلماته.
- واستقراء عمله.

ومن الأئمة الذين بينوا هذا وتكلموا عنه:

- محمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥ هـ)، في رسالة: "شروط الأئمة".
- محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ)، في رسالة: "شروط الأئمة الستة".
- محمد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤ هـ)، في رسالة: "شروط الأئمة الخمسة".

ومن خلال هذه الكتب وما بني عليها من جهود نستطيع التوسع في قراءة منهج الإمام البخاري في صحيحه.

****

٣٧– عادات البخاري في السند: للإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه عادات تتعلق بالسند، وهي كثيرة.

- فمن عادته – رضي الله عنه –: أنه لا يكرر الحديث بالإسناد الواحد بل يورده لمقتضى كل باب بإسناد آخر، ومتى ضاق عليه المخرج يتصرف فيه بنوع من التصرف في الإسناد أو المتن كالوصل في موضع والتعليق في آخر وكالإتمام في موضع والاختصار في آخر، ولا يورد الحديث بإسناد واحد ومتن واحد إلا نادرًا.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه إذا روى عن شيخ تكلم فيه بعض الأئمة يقلل الرواية عنه ويأتي بالمتابعات تقوية لروايته.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه إذا ورد الحديث عن غير واحد من مشايخه فإن اللفظ يكون للآخِر منهم.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه إذا تحول من إسناد ساق المتن على لفظ الثاني.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه يكثر ذكر المتابعات، ولا يكون إلا لغاية.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه يختار من الإسناد العالي.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه يختار من الإسناد ما هو موصوف بأصح الأسانيد.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه لا يفرق بين التحديث والإخبار والإنباء والسماع.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه يذكر نسب الراوي ووطنه إذا أبهمه الراوي.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه ينقل الحديث من صحائف التابعين عن الصحابة.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه قد يذكر الواو قبل قوله" "حدثنا"، فيقول: "وحدثنا".
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه يترجم لشيء ثم يذكر فيه حديثًا كما سمعه من شيخه جملة لتضمنه موضع الدلالة المطلوبة منه وإن لم يكن باقيه مقصودًا له.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: إيراد المعلقات.

****

٣٨– عادات البخاري في المتن: وله – رضي الله عنه – عادات تتعلق بالمتن، وهي كثيرة كذلك.

- فمن عادته – رضي الله عنه –: أنه يؤثر الخفي على الجلي في تراجمه.

- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه إذا عقد كتابًا من كتب الصحيح ووجد آية مناسبة لهذا الكتاب افتتح بهذه الآية.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه يعقد ترجمة ثم يذكر فيها الآية أولًا ثم يذكر فيها حديثًا مرفوعًا متصلًا ثانيًا ثم يذكر فيها أثرًا عن صحابي أو فتوى تابعي.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه لا يتعرض لطريق الاستدلال والاستنباط بل يترك ذلك لتدبر أهل العلم بعده.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه لا يعيد الترجمة في صحيحه إلا إذا كانت الترجمة ذات شقين.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه قد يكرر الترجمة إذا كان في الكلمة اختلاف في التفسير.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه إذا توقف في شيء ترجم عليه بترجمة مبهمة كأنه ينبه على طريق الاجتهاد.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه يورد الأدلة المتفق عليها والمختلف فيها.
- ومن عادته – رضي الله عنه – أنه إذا وقع بين الحديثين تعارض يدفع التعارض بعقد بابين.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: أنه ينقل في كل فن من أئمه هذا الفن.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: اختصاره الحديث.
- ومن عادته – رضي الله عنه –: تقطيعه الحديث.

وقد كتب شيخ شيوخنا العلامة عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي في ذلك كتابه البديع: "عادات الإمام البخاري في صحيحه"، ومنه نقلت.

****

٣٩– منهج البخاري في التكرار: يكرر البخاري الحديث في مواضع من صحيحه ويقطعه، ورغم هذا فهو لا يعيد شيئًا منه بعينه، بل يكون في كل مرة شيء منه مختلف في السند أو المتن عما قبله – غالبًا –. وهو من منهجه في كتابه: التَزم ألَّا يدخل في الصحيح حديثًا معادًا.

****

٤٠- **منهج البخاري في إثبات اللقاء والسماع:** طرق إثبات اللقاء والاجتماع بين الراوي ومن يروي عنه عند الإمام البخاري:

- التصريح بالسماع في السند.

مثل ما روى في كتاب الصلح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»، قال: حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا سفيان، عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال.. فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

ثم قال البخاري: قال لي علي بن عبد الله: إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث.

- ثبوت اللقاء في واقعة مروية.

كما وقع له بشأن سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود من أبيه، وقد اختُلف فيه على ثلاثة أقوال -: سمع، لم يسمع، سمع أحاديث بعينها -، فقد أثبت البخاري في تاريخه الأوسط سماعه منه لثبوت حضور عبد الرحمن واقعتين مع أبيه تثبتان سماعه منه، ذكرهما البخاري.

****

٤١- **أثر ثبوت اللقاء والسماع في درجة الصحة:** ثبوت اللقاء والاجتماع بين الراوي ومن يروي عنه عند الإمام البخاري شرط في أصل الصحة وليس في أعلاها، خلافًا لمن زعم أنه في أعلاها فقط، وهم كثير من المتأخرين: ابن كثير، والبلقيني وغيرهما.

وبهذا يكون مذهب البخاري ومذهب شيخه ابن المديني في هذا الأمر واحدًا: "أن الثبوت شرط في أصل الصحة".

****

٤٢- العنعنة وقبولها في الصحيح: العنعنة - وهي: قول الراوي: عن فلان - لا تفيد الاتصال أو الانقطاع بمجردها، وقد اختلف الأئمة في حكم الإسناد المعنعن على أقوال ستة، العمل عند جمهورهم على قولين منها، هما:

- الاحتجاج بالسند المعنعن والحكم باتصاله إذا ثبت اللقاء بين المعنعِن والمعنعَن عنه ولو مرة واحدة وكان الراوي بريئًا من التدليس، وهذا هو الذي عليه رأي الحذّاق كابن المديني والبخاري وأكثر الأئمة، وهو مقتضى كلام أحمد وأبي زرعة وأبي حاتم وغيرهم من أعيان الحفاظ، وهو ما صححه المتأخرون من أئمة الحفاظ: ابن الصلاح ومن جاء بعده.

- الاحتجاج بالسند المعنعَن والحكم باتصاله إذا كان اللقاء بين المعنعِن والمعنعَن عنه ممكنًا مع السلامة من التدليس، عُلم السماع أو لم يعلم إلا أن يأتي ما يعارض ذلك، مثل: أن تكون سنُّه لا تقتضي ذلك.

وهذا قول مسلم والحاكم والباقلاني والصيرفي وغيرهم.

فالاختلاف إنما هو في السند المعنعن العاري عن ما يُثبت اللقاء أو ما يقويه ويرجحه من القرائن بأن كان الأمر على الإمكان والاحتمال.

هذا لا يحتج به البخاري ويحتج به مسلم.

ومذهب البخاري أقوى وأحوط، ومذهب مسلم أوسع وأرحب.

****

٤٣- تحرير مصطلح الحسن عند الإمام البخاري: استعمل الإمام البخاري رضي الله عنه وصف "الحسن" وأطلقه على بعض الأحاديث، وهو تارة يطلقه على ما صح، وتارة يطلقه على ما لم يصح، ويفهم من هذا أن مراده بذلك المعنى اللغوي.

أما الحسن بالمعنى الاصطلاحي -وهو الذي توفرت فيه شروط الصحة لكن خف ضبط راويه- فقد كان المتقدمون يطلقون عليه اسم الصحيح، وإن كان بعضه أصح من بعض.

وهل الحسن بهذا المعنى الاصطلاحي موجود في صحيح البخاري؟

نعم، وهو حديث الراوي الذي احتج به البخاري وتكلَّم فيه الأئمة وكلامهم في تليينه وحفظه له اعتبار، مثل: إسماعيل بن أبي أويس وأحمد بن عيسى الخشاب، وكذا حديث الراوة الذين أخرج لهم البخاري في المتابعة والشواهد فإن فيهم كذلك من في حفظه شيء وفي توثيقه تردد.

****

ثالثا: محتويات الصحيح

٤٤- **منزلة ما فيه من الصحة:** لم يستوعب البخاري الأحاديث الصحيحة في كتابه؛ يقول البخاري: "ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح خشية أن يطول الكتاب"، وهناك كتب أخرى كثيرة جمعت ما لم يجمعه.

وما في البخاري ـ مما رواه معه مسلم ـ من الحديث هو أصح الصحيح، ثم ما انفرد به يليه في الصحة.

٤٥- **تقسيمات الصحيح:** ينقسم صحيح البخاري إلى فنون – كما سبق –، وفي كل فن كتب، وفي كل كتاب أبواب، وعلى كل باب عنوان يوضح المعاني المقصودة من الباب، وتحت كُلِّ بابٍ أحاديث.

وهذه العناوين أنواع منها ما هو مختصر ومنها ما هو مطول.

وقد ضمّن البخاري هذه العناوين فقهه ومن هنا قيل: " فقه البخاري في تراجمه "، وفي هذا التضمين آيات وأحاديث وآثار وشواهد وعِلْمٌ جَمّ.

٤٦- **عدد كتبه وأبوابه:** إحصائيات في صحيح البخاري:

عدد كتبه: (٩٩) كتابًا، وعدد أبوابه: (٣٨٨٦) بابًا، وعدد أحاديثه المرفوعة مع الأحاديث المكررة والتعليقات والمتابعات: (٩٠٨٢) حديثًا، وعدد أحاديثه المرفوعة مع المكرر: (٧٣٩٧) حديثًا، وعدد الأحاديث المرفوعة دون تكرار: (٢٦٠٢) حديثًا، وعدد الأحاديث المعلقة: (١٣٤١) حديثًا، وعدد المتابعات والتنبيهات على اختلاف الروايات: (٣٤٤) متابعة وتنبيهًا.

٤٧- **الكتب التي اشتمل عليها:** اشتمل صحيح الإمام البخاري على ٩٧ كتابًا تصنيفها كالتالي:

– في العقائد على ثلاثة كتب، هي: الإيمان، والقدر، والتوحيد.

– وفي الأحكام على واحد وسبعين كتابًا، هي: الوضوء، والغسل، والحيض، والتيمم، والصلاة، ومواقيت الصلاة، والأذان، والجمعة، وصلاة الخوف، والعيدين، والوتر، والاستسقاء، والكسوف، وسجود القرآن، وتقصير الصلاة، والتهجد، والعمل في الصلاة، والسهو، والجنائز، والزكاة، والحج، والعمرة، والمُحصَر، وجزاء الصيد، والصوم، وصلاة التراويح، والاعتكاف، والبيوع، والسَّلَم، والشفعة، والإجارة، والحوالة، والكفالة، والوكالة، والحرث والمزارعة، والمساقاة، والاستقراض وأداء الديون والحَجر والتفليس، والخصومات، واللقطة، والمظالم، والشركة، والرهن، والعتق، والمكاتب، والهبة وفضلها والتحريض عليها، والشهادات، والصلح، والشروط، والوصايا، والجهاد والسير، وفرض الخُمُس، والجزية

والموادعة، والنكاح، والطلاق، والنفقات، والأطعمة، والعقيقة، والذبائح والصيد، والأضاحي، والأشربة، والأيمان والنذور، وكفارات الأيمان، والفرائض، والحدود، والديَات، واستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، والإكراه، والحيل، والأحكام، وأخبار الآحاد، والاعتصام بالكتاب والسنة.

- وفي الآداب على ثمانية كتب، هي: العلم، والمرضى، والطب، واللباس، والأدب، والاستئذان، والتعبير، والتمنّي.

- وفي الرِّقاق (الزهد والدعوات) على كتابين، هما: الدعوات، والرقاق.

- وفي التاريخ والسير على أربعة كتب، هي: بدء الوحي، وبدء الخلق، وأحاديث الأنبياء، والمغازي.

- وفي التفسير على كتاب واحد، هو: تفسير القرآن.

- وفي الفتن اشتمل على كتاب واحد، هو: الفتن.

- وفي المناقب والمثالب على سبعة كتب، هي: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، وفضائل المدينة، وفضل ليلة القدر، والمناقب، وفضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومناقب الأنصار، وفضائل القرآن.

****

٤٨- مناسبة ترتيب أبوابه:

ذكر العلماء للترتيب المذكور في أبواب صحيح البخاري وكتبه مناسبة، وأفضل من تكلم على هذا الأمر: الإمام أبو حفص عمر البلقيني شيخ الحافظ ابن حجر – رحمهما الله تعالى – فقد أبدى فيه عجائب ولطائف، واسم كتابه: "مناسبات أبواب صحيح البخاري لبعضها بعضًا".

وقد لخص الحافظ كلامه في الفصل العاشر من مقدمته الجليلة: "هدى الساري"، وعقب عليها بإيضاحات واستدراكات مفيدة، لله درّهما!

****

٤٩- مناسبة تراجم الصحيح للأحاديث: تراجم أبواب صحيح البخاري على قسمين:

- تراجم ظاهرة:

وهي: أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورده في مضمَّنها، وفائدتها: الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة، كأنه يقول: هذا الباب الذي فيه كَيت وكَيت، أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلاني، - مثلًا -.

- وتراجم خفية:

وهي التي تحتاج إلى إعمال الفكر للوصول إلى وجه المناسبة بين الترجمة والحديث الذي أورده تحته.

وهو يلجأ إليها لأمور، منها: إذا لم يجد حديثًا على شرطه في الباب يكون ظاهر المعنى في المقصد الذي ترجم به ويستنبط الفقه منه، وقد يفعل ذلك لغرض شحذ الأذهان في إظهار مضمَره واستخراج خبيئه، وكثيرًا ما يفعل ذلك حيث يذكر الحديث المفسِّر لذلك في موضع آخر متقدمًا أو متأخرًا فكأنه يحيل عليه ويومئ بالرمز والإشارة إليه.

****

٥٠- المراد بـ (باب) مفردة: يذكر الإمام البخاري رضي الله عنه في بعض المواضع - وهي (٥٢) موضعًا تقريبًا - كلمة: (باب) من دون ذكر ترجمة بل يذكر الحديث بعدها مباشرة.

وهذا - على الأرجح - تفريع منه على الترجمة السابقة.

****

٥١- الأصول التي اعتمد عليها في الرواية: الأصول في صحيح البخاري، هي: ما يرويه البخاري بالأسانيد الأقوى والأجود في الباب ممن لم يُتكلم في أحد من رواته.

والمتابعات والشواهد: ما كان خلاف ذلك.

هذه هي القاعدة في معرفة هذا، وليس لشيء من هذا ذكر في موضع من الباب إنْ في أوله أو في آخره، لا ضابط له إلا إحكام السند وإتقان الرواة.

٥٢- المتابعات في الصحيح: من ميزات صحيح البخاري: المتابعات، فقد أكثر منها، وهي تدل على سعة حفظ البخاري للأحاديث والطرق، وعظم معرفته بفقه الحديث.

والمتابعة: ما تابع فيه الراوي راوٍ آخر في شيخه أو شيخ شيخه فمن فوقه؛ بحيث يكون الصحابي واحدًا، فأما أن يوافق متنُ حديث الصحابي حديث صحابي آخر إما باللفظ أو المعنى.. فهذا يسمى الشاهد.

وقد يطلق على الشاهد: متابعة، وفي صحيح البخاري من هذا مواضع.

والمتابعات يسوقها البخاري لتقوية السند أو المتن أو هما معًا.

وللمتابعات في الصحيح طرق وأشكال كثيرة.

وربما تساهل البخاري في الرواة الذين يخرج أحاديثهم في المتابعات؛ لأنها ليست من أصل كتابه.

ولهذا كان من خرَّج لهم البخاري في الأصول: ثقات عنده، دون من خرَّج لهم في المتابعات والشواهد والتعاليق: هؤلاء حصل لهم اسم الصدق ويتفاوتون في الضبط وغيره، ومنهم الثقات المحتج بهم فيُنَبه البخاري بمتابعاتهم على الطرق الموصولة في الصحيح، أو ليخرج الحديث عن حد الغرابة.

****

٥٣- المعلقات في الصحيح: ذكر البخاري في صحيحه بعض الأحاديث دون ذكر سندها، وذكر في بعضها بعض السند دون تتمته، وتعرف هذه الأحاديث باسم: (الأحاديث المعلقة)، وغرضه بها: الاستشهاد على موضوع الباب الذي ذُكِرت فيه.

وهذه المعلقات لم يلتزم فيها البخاري الصحة، لأنها ليست من موضوع كتابه، وقد أوضحها العلماء ووصلوا أسانيدها وبينوا الحكم عليها، ومن أفضل من قام بهذا الحافظ ابن حجر في (تغليق التعليق) واختصره في فصل من (هُدى الساري) وفَرّقه بحسب مواضع وروده في (فتح الباري).

****

٥٤- غاية تخريج المعلقات: لماذا أخرج الإمام البخاري المعلقات؟

موضوع صحيح البخاري هو الأحاديث المسندة والأحاديث المعلقة ليست بمسندة، وإنما ذكرت استئناسًا واستشهادًا، وقد ذكر الحافظ ابن حجر الأسباب الحاملة للإمام البخاري على تخريج ذلك التعليق، وأن مراده بذلك:

أن يكون الكتاب جامعًا لأكثر الأحاديث التي يحتج بها، إلا أن منها ما هو على شرطه فساقه سياق أصل الكتاب، ومنها ما هو على غير شرطه فغاير السياق في إيراده ليمتاز.

****

٥٥- عدد المعلقات في الصحيح: تبلغ المعلقات في صحيح البخاري (١٣٤١) حديثًا.

- منها: (المرفوع)، وهو نوعان: ما وصله في موضع آخر من الصحيح، وما لا يوجد فيه إلا معلقًا.
- ومنها: (الموقوف).

****

٥٦- صيغ رواية المعلقات وفائدتها: الأحاديث المعلقة في صحيح البخاري.

منها ما علَّقه إلى النبي ﷺ، أو إلى أحد الصحابة رضوان الله عليهم، أو إلى من بعدهم.

وما جزم به البخاري من هذه المعلقات فقال: (قال، ذكر.. إلخ) عند إيراده فهو صحيح إلى من علقه عنه، وما ذكره بصيغة التمريض: (رُوي، يُذكر.. إلخ) فهو ضعيف عنده.

وهذا في الغالب.

فيحتاج المعلَّق عامة إلى نظر وبحث وتفتيش.

****

٥٧- الفرق بين الأصول، والمتابعات، والشواهد في الصحيح: في صحيح البخاري أصول ومتابعات وشواهد.

فما رواه في الأصول: صحيح ثابت، وما رواه في الشواهد والمتابعات فقد يوجد منه ما فيه بعض الضعف، ولكن أصله محفوظ عنده بسند صحيح.

****

٥٨- الأقوال التفسيرية في الصحيح: يورد الإمام البخاري الموقوفات - من فتاوى الصحابة والتابعين ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات - في صحيحه على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها خلاف بين الأئمة.

****

رابعا: فوائد تتعلق بالأسانيد والمتون

٥٩- اهتمام البخاري بعلو السند: علو الإسناد: اهتم البخاري في صحيحه بعلو الإسناد اهتمامًا بالغًا، وقد كان هذا من أعظم أسباب إقبال أهل العلم على كتابه، وسر ذلك –كما هو معلوم – أن الإسناد كلما قل عدد رواته اشتدت قوته وقل احتمال وقوع الدخيل فيه.

ومن هنا – الاهتمام بالعلو والرغبة في السمو – رأينا البخاري لم يخرج في صحيحه للشافعي ـ رضي الله عنه ـ عن طريق أصحابه الذين لقي كثرة منهم وأخذ عنهم، لأنه عاصر كثيرًا من أقران الشافعي ونظرائه فروى عنهم مباشرة ما شاركهم الشافعي في روايته.

وإن كان قد ذكر الشافعيَّ في موضعين، كما ذَكَر ذلك الحافظ ابن حجر في (توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس).

****

٦٠- درجات علو السند في الصحيح: أعلى ما في صحيح البخاري من إسناد: الثلاثيات، فالرباعيات، وأنزل ما فيه: التساعيات، وأغلبه خماسيات وسداسيات، والله أعلم.

****

٦١- أعلى أسانيد البخاري، وعددها: أعلى أسانيد البخاري في الصحيح: روايته عن أتباع التابعين فالتابعين فالصحابة، فيكون بينه وبين رسول الله ﷺ ثلاثة؛ ولهذا تعرف هذه الأحاديث باسم: ثلاثيات البخاري، وعددها اثنان وعشرون حديثًا.

****

٦٢- صُور تكرار الحديث: يكرر الإمام البخاري الحديث في الصحيح بصورتين:

١- إعادة متن الحديث كله في موضع أو أكثر، فيخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر، والمقصود منه: أن يخرج الحديث عن حد الغرابة، وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرًّا إلى مشايخه، فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار، وليس كذلك؛ لاشتماله على فائدة زائدة.

وله أغراض أخرى من إعادته سوى هذه.

٢- تقطيع الحديث في الأبواب تارة، واقتصاره منه على بعضه تارات فلا يذكر الباقي في موضع آخر.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: "حتى لو لم تظهر لإعادته فائدة من جهة الإسناد ولا من جهة المتن لكان ذلك لإعادته لأجل مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبًا لئلا يعد مكررًا بلا فائدة.

كيف وهو لا يخليه مع ذلك من فائدة إسنادية، وهي: إخراجه للإسناد عن شيخ غير الشيخ الماضي، أو غير ذلك على ما سبق تفصيله، وهذا بيِّن لمن استقرأ كتابه وأنصف من نفسه، والله الموفق لا إله غيره".

٦٣- فائدة تكرار الحديث: يكرر الإمام البخاري الحديث في صحيحه من أجل الاستدلال به.

ومع هذا التكرار لا يخلي الحديث في كل مرة من فائدة زائدة عما سبق - في المتن أو في السند أو فيهما معًا-.

وقلما يورد حديثًا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وما وقع له من ذلك فهو عن غير قصد، وهو قليل جدًّا ربما لا يتجاوز ثلاثين حديثًا.

****

خامسا: ما يتعلق برواة الصحيح

٦٤- عدد الصحابة في الصحيح رجالًا ونساء: (١٨٤) صحابيًّا؛ منهم (١٥٣) رجلًا، و (٣١) امرأة .

رضي الله عنهم أجمعين ..

****

٦٥- طريقة التمييز بين رواة الأصول، ورواة المتابعات والشواهد في الصحيح: رواة الأصول عند الإمام البخاري في جامعه الصحيح منهم المكثر في الرواية ومنهم المقل.

- أما المكثرون فإنه يَشترط أن لا يخرّج من حديثهم إلا ما كان من رواية الطبقة العليا عنهم، اكتفاء بهم عن الوسطى أو الأدنى، فأحاديث الطبقة العليا هو الغاية في الصحة، وهو مقصده.
- وأما المقلون فيَكتفي في تخريج أحاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطأ.

****

٦٦- الأكثر رواية في الصحيح: معظم أحاديث السنة الصحيحة تدور على ستة من التابعين، هم:

- ابن شهاب الزهري.
- عمرو بن دينار.
- قتادة بن دعامة.
- يحيى بن أبي كثير.
- أبو إسحاق السبيعي.
- الأعمش.

رحمهم الله أجمعين.

وأكثرهم حديثًا الزهري كما يظهر بأدنى تأمل في الدواوين، والآخذون عنه خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التي تليها وتفاوت.

فمن كان في الطبقة الأولى فهو غاية مقصد البخاري، لأن حديثهم هو الغاية في الصحة، أمثال: مالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمر ويونس بن يزيد وعُقيل بن خالد، وهذه الطبقة جمعت بين العدالة والحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري ومارَسَت حديثه.

ومن كان في الطبقة الثانية قد يخرج البخاري حديث أعيانهم أحيانًا، أمثال: الأوزاعي والليث والنعمان بن راشد، وهؤلاء شاركوا الطبقة الأولى في العدالة والحفظ والإتقان لكنهم لم يلازموا الزهري إلا مدة يسيرة فلم يمارسوا حديثه ممارسة الأولين وفيهم من هو – مع ذلك – في الإتقان دون الطبقة الأولى.

وأكثر ما يُخرّج البخاري أحاديث هذه الطبقة تعليقًا.

ومن كان في الطبقة الثالثة – وهم جماعة لزموا الزهري غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول، أمثال: سفيان بن حسين السلمي، وجعفر بن برقان، وعبد الله بن عمر بن حفص العمري – فإن البخاري ربما أخرج اليسير من حديثهم تعليقًا أيضًا.

وليس عند البخاري من أحاديث الطبقة الرابعة والخامسة شيئًا.

وبهذا المثال – حديث الزهري وطبقات الرواة عنه – نعلم كيفية تخريج الإمام البخاري في صحيحه لرواة الأصول المكثرين في الرواية، ونتأكد أيضًا أن الغاية القصوى عند الإمام البخاري في الجامع الصحيح هي: إخراج أصح الصحيح من الحديث وأن ذلك هو الأصل فيه.

فأما غير المكثرين فإنما اعتمد البخاري في تخريج أحاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطأ، لكن منهم من قوي الاعتماد عليه فأخرج ما تفرد به مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فأخرج له ما شاركه فيه غيره وهو الأكثر.

وليعلم أن البخاري لا يشترط في الحديث المعنعن إلا لقاء الراوي المعنعِن الشيخَ المعنعَن عنه ولو مرة.

وأنه لا يشترط طول الملازمة أبدًا، فلا يصح إطلاقُ القول بأن البخاري يشترط في رواة صحيحه ذلك.

****

٦٧– **تمييز البخاري في الرواية عن المكثر والمقل:** رواة الأصول عند الإمام البخاري في جامعه الصحيح منهم المكثر في الرواية ومنهم المقل.

– أما المكثرون فإنه يَشترط أن لا يخرّج من حديثهم إلا ما كان من رواية الطبقة العليا عنهم، اكتفاء بهم عن الوسطى أو الأدنى، فأحاديث الطبقة العليا هو الغاية في الصحة، وهو مقصده.

–وأما المقلون فيَكتفي في تخريج أحاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطأ.

****

٦٨– أقسام رواة الصحيح من حيث الصحة المطلقة: أقسام رواة الصحيح: من أخرج له الإمام البخاري في الجامع الصحيح من الرواة على قسمين:

– أحدهما: ما احتج به في الأصول، وثانيهما: من خرج له متابعة وشهادة واعتبارًا.

● فمن احتج به ولم يُوثق، ولا غُمز: فهو ثقة، حديثه قوي، ومن احتج به وتكلم فيه بعضهم فتارة يكون الكلام فيه تعنتًا والجمهور على توثيقه: فهذا حديثه قوي أيضًا.

وتارة يكون الكلام في تليينه وحفظه له اعتبار: فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة (الحسن) التي قد نسميها: (من أدنى درجات الصحيح).

فما في الجامع الصحيح – بحمد الله – رجل احتج به البخاري في الأصول ورواياته ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة.

● ومن خرج له في الشواهد والمتابعات: ففيهم من في حفظه شيء وفي توثيقه تردد.

فكل من خرج له البخاري في الصحيح فقد قفز القنطرة، فلا مَعْدِل عنه إلا ببرهان بين.

****

٦٩– من طعن فيه من رواة الصحيح، وتوجيه رواية البخاري عنهم: يختلف أئمة الجرح والتعديل في شأن بعض الرواة، ومن أولئك بعض الرواة الذين أخرج لهم البخاري في صحيحه.

وليس رأيُ غير البخاري في جرح أولئك الرواة بأولى من رأيه ورأي من وافقه على تعديلهم أو صحة الرواية عنهم مع ما فيهم لاعتبارات أخرى.

وقد جمع الحافظ ابن حجر أسماء من طُعِن فيه من رجال البخاري وتكلم عليهم في الفصل التاسع من (هدى الساري) فأفاد وأجاد وحقّق كعادته رضي الله عنه، وقارئه لا ريب تزداد ثقته في الصحيح وصاحبه بعد قراءته.

٧٠- أثر رواية البخاري عمّن تُكلم فيه في تعديله: رجال الصحيح المتكلّم فيهم:

تخريج الإمام البخاري في أصل الصحيح حديث راو متكلَّم فيه هو حكم منه بتوثيق هذا الراوي في هذا الإسناد خاصة عن شيخه، وحكم بضبطه لهذا الحديث وعدم غفلته فيه، فهو يميز حديث هذا الراوي ولا يُخَرّج منه إلا الصحيح.

وقد يخرج البخاري حديثًا لراوٍ متكلَّم فيه، لأن الصواب هو توثيقه، أو لأنه وافق في حديثه هذا الثقات، أو لأن تضعيفه مختص بروايته عن شيخ بعينه لا في جميع ما رواه.

****

سادسا: الصحيح من البخاري إلينا

٧١- أشهر رواة الصحيح عن البخاري: أشهر رواة الصحيح من تلامذة البخاري:

الفربري، وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر، سمع الصحيح من البخاري مرتين وثلاثة، ولثقته وتثبته رحل الناس إليه وسمعوا الجامع الصحيح منه، وعنه اشتهر (ت ٣٢٠ هـ).

وقد ورد عنه أنه قال: "سمع كتابَ الصحيح لمحمد بن إسماعيل من مؤلفه تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه عنه غيري"، قال الحافظ عقب قول الفربري هذا: "وأطلق ذلك بناء على ما في علمه، وقد تأخر بعده سنين أبو طلحة منصور بن محمد البَزْدَوي النسَفي، كانت وفاته سنة (٣٢٩ هـ)".

****

٧٢- روايات الصحيح: روايات الصحيح:

سمع الصحيحَ من الإمام البخاري عشرات الألوف، واشتهر من رواياته:

رواية الإمام إبراهيم بن مَعْقِل النسفي (ت ٢٩٥ هـ).

رواية الإمام حماد بن شاكر النسفي (ت ٣١١ هـ).

رواية الإمام منصور بن محمد البَزْدَوِي (ت ٣٢٩ هـ)، وهو آخر من بقي منهم.

رواية الإمام محمد بن يوسف الفِرَبْرِيُّ (ت ٣٢٠ هـ)، وهو أشهرهم، وعن روايته تفرعت نسخ صارت أصولًا بعد ذلك.

****

٧٣- نسخة صحيح البخاري الأصلية: انتسخ الإمام أبو إسحاق المستَمْلِي كتاب البخاري من أصله، كان عند محمد بن يوسف الفربري، ومن هذا الأصل كتب أصحاب الفربري وعنه انتشرت الكتب في الآفاق وسمعها عشرات الألوف.

ثم فقدت هذه النسخة، وليس لفقدها أثر في ثبوت الكتاب فهذا وارد على كل الكتب القديمة، ولا تؤثر على الصحيح خاصة لأن أحاديثه مبثوثة في دواوين الإسلام كلها، ومن ثم لم يتعرض الصحيح لطعن من هذه الجهة في عصر من العصور المتتابعة، وقد نُقل الصحيح إلينا بالتواتر – المكتوب والمسموع – فكيف يؤثر هذا؟

وقد نسخ غير الفربري من أصل البخاري هذا واشتُهر ونُقل.

****

٧٤- نُسخ الصحيح: أصول الصحيح:

من أشهر نسخ صحيح البخاري التي اعتنى بها الأئمة:

نسخة الإمام أبي ذَر الهَرَوي (ت ٤٣٤ هـ)، وروايته هي طريق المكّيّين والمغاربة، وهي أتقنها لضبطه لها وتمييزه لاختلاف سياقها، وقد اعتمد عليها ابن حجر في الفتح.

نسخة الإمام أبي الوقت عبدِ الأول بنِ عيسى السِّجْزيّ (ت ٥٥٣ هـ)، وروايته هي طريق الشاميّين والبغداديين، وهي أشهرها اليوم وأعمّها.

نسخة المسنِدة كريمةَ بنت أحمد المِرْوَزِيّة (ت ٤٦٣ هـ)، وروايتها هي طريق المصريين.

نسخة الإمام الشهيد أبي علي الحسين بن محمد الصدَفي (ت ٥١٤ هـ)، وكانت متداولة في المغرب.

نسخة الإمام أبي عمران موسى بن سعادة الأندلسي (ت بعد ٥٢٢ هـ)، وكانت متداولة في المغرب.

نسخة الإمام أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأَصيلي (ت ٣٩٢ هـ).

نسخة الإمام رضيّ الدين محمد بن الحسن الصَّغَّاني (ت ٦٥٠ هـ)، وتعرف بالنسخة البغدادية.

نسخة الإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ).

نسخة الإمام شرف الدين أبي الحسين علي بن محمد اليُونِينيّ (ت ٧٠١ ت)، وهي أصح النسخ، وعمدة المحدثين من بعده، وقد اعتمد عليها القسطلاني في شرحه.

****

٧٥- سبب اختلاف نسخ الصحيح عن البخاري: سبب اختلاف روايات الجامع الصحيح عن البخاري:

كان البخاري ـ رضي الله عنه ـ يترك بياضًا في مواضع من نسخته - وكان دائم التحرير والتهذيب لها - ، وكان يزيد في الهوامش بعض الأبواب والأحاديث، فاجتهد من نقلوا من نسخته بعد ذلك في إلحاق كل باب أو حديث من هذه الزيادات بموضعها في النسخة التي ينقلون منها.

ويضاف إلى هذا ما كان عليه الإمام ـ رضي الله عنه ـ من التحري في الزيادة والتهذيب في كل وقت؛ فيكون قد أقرأ بعض ذلك في وقتٍ ثم زاد عليه وأقرأه بالزيادات بعد هذا في وقت آخر.

فحَدَثَ لذلك الاختلافُ بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص في مواضع.

****

٧٦- زيادات الفربري على الصحيح: في صحيح البخاري زيادات أضافها تلميذه الإمام محمد بن يوسف الفربري، وهي معلومة ظاهرة قليلة، وقد أشار إليها شراح الكتاب وبعض رواة نسخ صحيح البخاري، وقد أُفرِدت هذه الزيادات في جزء.

****

٧٧- طبعات الجامع الصحيح: طبع صحيح البخاري في الهند - مرتين -، وفي مصر بمطبعة بولاق - ثلاث مرات -، وفي غيرها إلى عام (١٣٠٩ هـ) أربع مرات، وفي تركيا، وفي أوربا، ثم كانت الطبعة الأميرية عام (١٣١٣ هـ) بأمر السلطان عبد الحميد، واعتمدت النسخة اليونينية في تصحيحها وعلى نسخ أخرى عرفت بالصحة والضبط، وقد قرئت هذه الطبعة في الجامع الأزهر وقوبلت وصححت من قبل جهابذة علماء العصر.

وقد أخرج الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر الطبعة الأميرية مع مزيد من العناية بها وإضافة خدمات ازدانت بها، طبعت في دار طوق النجاة ببيروت وتوزّعها دار المنهاج في جدة.

ثم توالت طبعات الصحيح، فمن جيد طبعاته: طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون، وطبعة الرسالة العالمية، وطبعة دار البشائر، وطبعة جمعية المكنز الإسلامي، وطبعة دار الفريابي، وطبعة دار التأصيل وقد قرأناها في مجالس السماع فوجدناها كافية مغنية.

****

٧٨- أثر اختلاف الطبعات على الكتب والأبواب: يتفاوت "عدد الكتب" في الجامع الصحيح بحسب طبعاته بسبب أن تسمية كتبه ليست محل اتفاق بين رواته حيث إن بعضهم يطلق لفظ "الباب" بدلًا من "الكتاب".

ويتفاوت "عدد الأبواب" -كذلك- بسبب أن كثيرًا من الأبواب المذكورة -بترجمة أو بغير ترجمة- ليس محل اتفاق بين رواته كما يُعلم من شروحه -خاصة فتح الباري وإرشاد الساري-.

****

سابعا: عناية الأمة بالصحيح

٧٩- أوجه عناية الأمة به: لم يحظ مصنَّفٌ في الدنيا بالعناية التي حظي بها صحيح البخاري، وقد تعددت نواحي تلك العناية فشملت:

- شرحه.
- ترجمة رجاله وضبط أسمائهم.
- وصل معلقاته.
- حل مغلقاته.
- شرح غوامض عباراته.
- إعراب المشكِل من كلماته.
- تلخيصه واختصاره.
- ترتيب أحاديثه.
- استخراج أحاديثه بغير أسانيده.
- شرح عناوين أبوابه.
- بيان الأسانيد التي يروي بها.
- إحصاء ثلاثياته ورباعياته.
- شرح آخر حديث منه في الختم.
- إعداد الفهارس لأحاديثه ولرُواته.
- الاستدراك عليه.
- كتابة أطرافه.
- الجمع بينه وبين غيره.
- ترجمة مصنفه.
- ترجمة شيوخ مصنفه.
- بيان المتكَلَّم فيهم من رواته.
- توضيح ما اتفق عليه هو ومسلم.

- توضيح ما وقع فيه من وهم.
- بيان ما أخرجه عاليًا.
- تجريد التفسير منه على ترتيب السور.
- نقض الاعتراضات عليه.
- الترجمة لمن ذكر فيه من الأعلام.
- مناسبات تراجمه.
- إحصاء الصحابة الذين روى عنه.
- ما رواه فيه وهو على شرط مسلم.
- كتابة الحواشي والنكت على شروحه.
- الانتقاء منه.
- ذكر عدد ما ورد من الأحاديث في أبوابه.ش
- المدخل إليه.
- تقييد مهمَلِه وتمييز مُشكِله.

وغير ذلك في مئة ناحية بل تزيد.

****

٨٠- من مظاهر اهتمام الأمة بالصحيح: تأسيس كراسي العلم في المساجد بعواصم الدول الإسلامية لقراءته وتدريسه وتدريس شروحه.

ومن أمثلة هذا:

.كرسي جامع القرويين، وكرسي الزاوية الفاسية وغيرهما بالمغرب.

.كرسي الجامع الأموي في دمشق، وكرسي الجامع الكبير في حلب بالشام.

****

٨١- عناية الآباء بإقرائه على أبنائهم: كان الآباء - فيما سلف - يحرصون على حضور أولادهم مجالس سماع صحيح البخاري:

وفي هذا لهم بركة عظيمة، وشرف، وتعويد على الخير، وتحصل لهم بذلك الإجازة، وتبقى لهم به الذكرى والذكر الحسن.

ومن أشهر ما وقع من ذلك:

ما نجده في إسناد صحيح البخاري من طريق أبي العباس أحمد بن أبي طالب الصالحي الحجار الشهير بابن الشِّحْنة (ت ٧٣٠ هـ):

- فقد سمعه الحجار على سراج الدين أبي عبد الله الحسين بن المبارك بن الزبيدي (ت ٦٣١ هـ) في شوال سنة ثلاثين وستمئة، وهو ابن ست سنين.
- وسمعه الزبيدي على أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السِّجْزي الهَرَوي الصوفي (ت ٥٥٣ هـ) في آخر سنة اثنتين وأول سنة ثلاث وخمسمئة، وهو دون الثامنة.
- وسمعه أبو الوقت على أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي (ت ٤٦٧ هـ)، وهو ابن سبع سنين.
- وسمعه الداودي على أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمُّويه السرَخْسي (ت ٣٨١هـ) في صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمئة، وهو ابن ست سنين.

ووقوع هذا على ذاك النحو عجيب.

****

٨٢- عناية الناس بالصحيح باختلاف طبقاتهم: وبالجملة؛ فأنواع الناس من الأمة الإسلامية كلها قد جرت منهم العناية بهذا الكتاب العظيم:

السلاطين والعوام، والعلماء والشيوخ والطلاب، الرجال والنساء والصغار، في السلم والحرب، بالنفس والمال وبهما معًا، في المواسم وغيرها، في الحياة وبعد الممات ـ عن طريق الوقف عليه ـ، ... إلخ هذه الخدمات الجليلة العديدة المتنوعة.

رضي الله عن مصنفه، ما كان أعظم نيته!

٨٣- عناية العلماء بقراءته: بلغ من عناية العلماء به أنهم كانوا يكررون قراءته في كل عام، يعقدون مجالسه في الأشهر الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان، أو في رمضان وحده.

وكان لهذا أثر عظيم في تعميم سماعه والانتفاع به.

****

٨٤- تبرك العلماء بقراءته: وقد كان العلماء يقرؤون صحيح البخاري عند الكروب والخطوب وأوقات الأزمات، وكذا بنية حصول المطلوب.

ولا ريب أن قراءته توسل بعمل صالح إذا أُضيف إلى القيام بالواجب من الأخذ بالأسباب كان من خير ما يعين على تفريج الكرب وإزالة الخَطْب.

****

٨٥- من أحوال الأئمة في قراءته: من عجيب أخبار الأئمة والعلماء مع صحيح البخاري: قراءته في مدة وجيزة، ومن ذلك:

- أن الخطيب البغدادي، قرأه على الحَيري في ثلاثة مجالس، وقرأه على كريمة في خمسة أيام.
- وأن الملك الأشرف (ت ٦٣٥ هـ) سمعه بقراءة الزبيدي في ثمانية أيام.
- وأن الحافظ ابن حجر قرأه مرة في أربعين ساعة رملية، وقرأه مرة أخرى في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات.

****

٨٦- من أحوال الأئمة في تكرار قراءته: من عجيب أخبار الأئمة والعلماء مع صحيح البخاري: قراءته في مدة وجيزة، ومن ذلك:

- أن الخطيب البغدادي، قرأه على الحَيري في ثلاثة مجالس، وقرأه على كريمة في خمسة أيام.

- وأن الملك الأشرف (ت ٦٣٥ هـ) سمعه بقراءة الزبيدي في ثمانية أيام.

- وأن الحافظ ابن حجر قرأه مرة في أربعين ساعة رملية، وقرأه مرة أخرى في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات.

****

ثامنا: جهود العلماء حول الصحيح

٨٧- الكتب التي تحدثت عن الصحيح: الكتب التي تحدثت عن الصحيح: من الكتب التي تحدثت عن البخاري وصحيحه معًا أو الصحيح ومنهجه ويجدر بأحباب الصحيح قراءة كتاب منها أو أكثر للوقوف على عظمته وأسباب ثقة الأئمة به ورد الجرأة عليه:

- (هدى الساري)، للحافظ ابن حجر.
- (الإمام البخاري وصحيحه)، للشيخ عبد الغني عبد الخالق.
- (البخاري والجامع الصحيح)، حسين عيسى عبد الرازق.
- (الإمام البخاري .. حياته ومنهجه في صحيحه)، علي أبو بكر.
- (إعلاء صحيح البخاري ـ تثبيت مكانة الإمام البخاري وصحيحه من خلال رد الشبهات حولهما ـ)، حرّره د. علي العمران.
- (الانتقادات المعاصرة لصحيح البخاري بدعوى التعارض في الحديث – دراسة مقارنة (ماجستير) –) د. خليصة مزوز.
- (الإمام البخاري وجامعه الصحيح .. نظرات وتحقيقات في السيرة والمنهج) لخلدون الأحدب.

****

٨٨- تصنيف المداخل إلى صحيح البخاري: صنف العلماء والشيوخ – فيما صنفوا لخدمة صحيح البخاري – المداخل.

ومن أمثلتها في القديم: (المدخل إلى الصحيح) لأبي عبد الله الحاكم – وهو في رجال الصحيحين – وقد وقعت له فيها أوهام نبهه عليها الإمام عبد الغني المقدسي وأرسل إليه البيان بذلك فقبله وشكره وصحَّح من كتابه ما رأى صواب عبد الغني فيه.

ومن أمثلتها في الحديث: (المدخل إلى صحيح البخاري)، للشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي، وهو كتاب جليل نُشر مع الطبعة السلطانية التي أصدرتها دار توقيعات سنة ١٤٤٠ هـ، تناول فيه حياة الإمام البخاري، والتعريف بالجامع الصحيح، والتعريف بالنسخة اليونينية والطبعة السلطانية، وآداب رواية

الحديث، وثَبْت الأسانيد التي يَروي بها الجامع الصحيح، ودعاء في ختم الجامع الصحيح، وقد استفدت من هذا المدخل في هذه التدوينات كثيرًا.

****

٨٩- خدمة هُدى الساري للصحيح: صنف العلماء والشيوخ - فيما صنفوا لخدمة صحيح البخاري - المداخل.

ومن أمثلتها في القديم: (المدخل إلى الصحيح) لأبي عبد الله الحاكم - وهو في رجال الصحيحين - وقد وقعت له فيها أوهام نبهه عليها الإمام عبد الغني المقدسي وأرسل إليه البيان بذلك فقبله وشكره وصحَّح من كتابه ما رأى صواب عبد الغني فيه.

ومن أمثلتها في الحديث: (المدخل إلى صحيح البخاري)، للشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي، وهو كتاب جليل نُشر مع الطبعة السلطانية التي أصدرتها دار توقيعات سنة ١٤٤٠ هـ، تناول فيه حياة الإمام البخاري، والتعريف بالجامع الصحيح، والتعريف بالنسخة اليونينية والطبعة السلطانية، وآداب رواية الحديث، وثَبْت الأسانيد التي يَروي بها الجامع الصحيح، ودعاء في ختم الجامع الصحيح، وقد استفدت من هذا المدخل في هذه التدوينات كثيرًا.

****

٩٠- مختصرات صحيح البخاري: اختصر جماعة كبيرة من الأئمة والعلماء صحيح البخاري، ومن أهم مختصراته: مختصر ابن أبي جمرة، ومختصر الزبيدي، ومختصر أبي العباس القرطبي، وممن اختصره في عصرنا الشيوخ: الألباني، ومصطفى عمارة، وعبد الجليل عيسى، وسعد الشثري، وعمر ضياء الدين.

****

٩١- شروح صحيح البخاري: شَرَحَ الجامع الصحيح جماعةٌ كبيرة من الأئمة والعلماء.

ومن أهم شروحه: أعلام الحديث للخطابي، وشرح ابن بطال، وعمدة القاري للعيني، وإرشاد الساري للقسطلاني، والتوضيح لابن الملقن. وهو من أبرز شروحه الموسعة .، والتوشيح للسيوطي.

وفتح الباري لابن حجر هو أشهر تلك الشروح ومن أشملها، وقد قال عنه الشوكاني: (لا هجرة بعد الفتح).

****

٩٢- لمحات عن فتح الباري: من أعظم شروح البخاري وأفضلها: "فتح الباري" للحافظ الإمام الهمام العلم: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، وقد كتبه الحافظ في البداية مطولًا – وخشي العوائق فلم يكمله – ثم اختصره وشجعه مهرة طلابه وأعانوه على تحريره، وقد قدم له بمقدمة ضافية رفيعة جليلة وهي: "هُدى الساري" – قدمت الكلام عليها –.

مكث ابن حجر في كتابة شرح البخاري خمسًا وعشرين سنة، وكان بعدها يُلحق فيه الفائدة تلو الفائدة إلى قبيل وفاته بيسير، وقد سلك فيه مسلكًا علميًّا شاملًا وافيًا لكل ما تتطلبه الأحاديث النبوية من التوضيح والبيان وحل المشكلات.

اهتم ابن حجر بمسائل الفتح إملاء ومباحثة ومدارسة ومحاققة بينه وبين من يثق به من تلامذته حتى جاء شرحًا فخمًا عظيم القدر وقد طلبه الناس في الآفاق وانتسخه الأئمة الأعلام وتلقاه أهل العلم بالقبول.

سبقت الفتحَ شروحٌ كثيرة خلال خمسة قرون تقريبًا استفاد الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مما وقع له منها: يورد أقوال الشراح في بيان المسألة التي هو بصدد بيانها، ثم يقرها أو يتعقبها.

والكتاب سجل جامع وديوان حافل وموسوعة جليلة أمينة في ذلك.

مع ما حفل به من فوائد في العقائد والتفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ والأصول والمواعظ والآداب.

رضي الله عن الحافظ الإمام وعن جميع أئمة الإسلام ونفعنا بعلومهم، آمين.

****

٩٣- النقد لبعض أحاديثه: انتقد بعض الأئمة الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد المطلعون على خفايا الطرق أحاديث في صحيح البخاري، منهم الأئمة:

- مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ).
- أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧٠هـ).
- أبو الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ).
- أبو مسعود الدمشقي (ت ٤٠١هـ).
- أبو محمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ).
- الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ).
- أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني (ت ٤٩٨هـ).
- القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ).
- عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ).

وقد عقد الحافظ ابن حجر في "هدى الساري" فصلًا تناول فيه هذه الأحاديث – وهي مئة وعشرة أحاديث –، وليست كلها قادحة، بل أكثرها الجوابُ عنه ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف.

وقد قال الحافظ في نهاية هذا الفصل: " فإذا تأمل المنصف ما حررته من ذلك عظم مقدار هذا المصنف في نفسه وجل تصنيفه في عينه، وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقيه بالقبول والتسليم وتقديمهم له على كل مصنَّف في الحديث والقديم، وليسا سواء من يدفع بالصدر فلا يأمن دعوى العصبية، ومن يدفع بيد الإنصاف على القواعد المرضية والضوابط المرعية".

****

٩٤- توجيه النقد لبعض أحاديثه: معنى انتقاد الإمام الدارقطني وغيره للأحاديث التي انتقدوها في الجامع الصحيح للإمام البخاري:

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: "الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين، وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمور:

أن أحاديث "الصحيحين" صحيحة كلها، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف.

وإنما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه.

وأما صحة الحديث في نفسه فلم يخالف أحد فيها، فلا يَهُولنَّك إرجاف المرجفين وزعم الزاعمين أن في "الصحيحين" أحاديث غير صحيحة.

وتتَبَّع الأحاديث التي تكلموا فيها وانتقِدْها على القواعد الدقيقة التي سار عليها أئمة أهل العلم واحكم عن بينة، والله الهادي إلى سواء السبيل".

****

٩٥- أثر انتقاد بعض الأئمة لبعض أحاديثه في درجة صحتها: أثر انتقاد الأئمة لبعض أحاديث الصحيح:

الأحاديث التي انتقدها الأئمة الذين قدّمنَا ذكرهم، وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب فإن جميعها وارد من جهة أخرى، وهي ـ كما يقول الحافظ ابن حجر :ـ

ما ادعاه الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من الإجماع على تلقي هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميع ما فيه، فإن هذه المواضع متنازع في صحتها فلم يحصل لها من التلقي ما حصل لمعظم الكتاب.

وقد تعرض لذلك ابن الصلاح في قوله: " إلا مواضع يسيرة انتقدها عليه الدارقطني وغيره "، وقال في مقدمة شرح مسلم له: " ما أُخِذ عليهما ـ يعني على البخاري ومسلم وقَدَح فيه معتمد من الحفاظ ـ فهو مستثنى مما ذكرناه؛ لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول ".

قال الحافظ: " وهو احتراز حسن "، وقد تناول الحافظ هذه المسألة في النزهة.

****

٩٦- رد الشبهات المثارة حول الصحيح: تعددت الشبهات وتنوعت على الجامع الصحيح ومصنفه، وهي جميعها يبعثها أحد أمرين:

- عدم العلم الكافي بالكتاب.
- سوء القصد.

ويدل لذلك أدنى مطالعة لمسرد هذه الشبهات.

وقد صنف العلماء في جواب هذه الشبهات، ومن الكتب الجيدة في هذا الباب: "إعلاء البخاري: تثبيت مكانة الإمام البخاري وصحيحه من خلال رد الشبهات حولهما"، لمحرره الدكتور علي بن محمد العمران.

أجاب فيه عن الشبهات المثارة على الإمام البخاري، ثم الشبهات المثارة على الصحيح ورواياته، ثم الشبهات المثارة على أحاديث الصحيح وحجيتها، ثم الشبهات المثارة على الرواة في صحيح البخاري، ثم الشبهات المثارة على وقوع التعارض بين أحاديث الصحيح وبين غيرها.

****

تاسعا: فوائد حديثية تتصل بالصحيح

٩٧- أنواع التصنيف في الحديث النبوي: التصنيف في الحديث النبوي نوعان:

- منهم مَن يجمع أحاديث كل صحابي بعضها إلى بعض: أبو بكر، عمر، عثمان، علي.. إلخ، وهذه طريقة المسند، وهذه الطريقة في العادة لا تميز بين ما يُحتج به من الأحاديث وما لا يُحتج به.

- ومنهم من يجمع أحاديث كلّ نوع من الموضوعات على انفراده: الطهارة، الصلاة، الزكاة.. إلخ، وهذه طريقة الجوامع والسنن وما جرى مجراها في الاحتجاج بها والركون إلى ما يورد فيها مطلقًا.

فالذي يصنف على الكتب والأبواب ظاهر حاله أنه ادَّعى أن الحكم في المسألة التي بوّب عليها ما بوّب به، فيحتاج إلى مستدَل لصحة دعواه، والاستدلال إنما ينبغي أن يكون بما يصلح أن يُحتج به.

بخلاف من يصنف على المسانيد فإن ظاهر قصده جمعُ حديث كل صحابي على حدة سواء كان يصلح للاحتجاج أم لا.

وما يقع في بعضها من مخالفة هذا هو خروج عن الأصل.

وظاهرٌ أن صحيح البخاري من النوع الأخير - التصنيف على الأبواب: "التصنيف الموضوعي"-.

وسبق أن ذكرنا أن صحيح البخاري (جامع) أي: للعقائد، والأحكام، والرقاق، والآداب، والتفسير، والتاريخ والسير، والفتن، والمناقب والمثالب.

وبهذا يفارق (الجامعُ) (السننَ) فهي وإن كانت من التصنيف الموضوعي إلا أن السنن لا يوجد فيها ما يتعلق بالعقائد، والسير، والمناقب، وما إلى ذلك، بل هي مقصورة على أبواب الفقه وأحاديث الأحكام.

****

٩٨- معنى الجامع: الذي جمع الفنون الأربعة: فن السنة ـ الفقه ـ، وفن التفسير، وفن السيرة، وفن الزهد والرقائق.

أو الفنون الثمانية: أحاديث العقائد، وأحاديث الأحكام، وأحاديث الرقائق، وأحاديث آداب الأكل والشرب، وأحاديث السفر والقيام والقعود، والأحاديث المتعلقة بالتفسير والتاريخ والسير، وأحاديث الفتن والمناقب والمثالب.

٩٩- مراتب الصحيح: مراتب الحديث الصحيح: الحديث الصحيح أقسام متفاوتة بحسب تمكنه من شروط الصحة وعدمه، وأعلاها: ما اتفق عليه الشيخان، فإنهما لا يتفقان على حديث إلا ويكون صحيحًا لا ريب فيه، وأهل العلم يتفقون معهما على القول بصحته وتلقيه بالقبول، فلا سبيل إلى القول بضعف شيء مما اتفقا عليه ألبتة.

وإذا قال العلماء في حديث: صحيح متفق عليه، أو متفق على صحته، فمرادهم: اتفاق الشيخين على رواية هذا الحديث.

والمحدثون يطلقون مصطلح (المتفق عليه) لما اتفقا على إخراجه سندًا ومتنا، وأما إذا اختُلف في إسناده أو متنه قالوا: أخرجاه ـ رواه الشيخان .. ونحو ذلك.

وعدد المتفق عليه في الصحيحين بدون تكرار (١٥١٩) حديثًا.

ومن الكتب الميسرة في المتفق عليه بين الشيخين:

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي.
- الجمع بين الصحيحين للحفاظ، يحي بن عبد العزيز اليحي.

****

١٠٠- ما اتفق عليه الشيخان سندًا ومتنًا: تعاصر الإمامان البخاري ومسلم واشتركا في الأخذ عن بعض الشيوخ ورويا معًا في كتابيهما عن (٢٣) شيخًا، ومن ينظر في الصحيحين يجد أحاديث اتفق عليها الشيخان سندًا ومتنًا تصل إلى (١٥٥) حديثًا، ومن ذلك:

- قتيبة بن سعيد، وأحاديثه عندهما: (٦١) حديثًا.
- محمد بن بشار، وأحاديثه عندهما: (٣٢) حديثًا.
- أحاديث محمد بن العلاء، وأحاديثه عندهما: (١٥) حديثًا.
- عثمان بن أبي شيبة، وأحاديثه عندهما: (٧) أحاديث.

- محمد بن المثنى، وأحاديثه عندهما: (٥) أحاديث.

وممن اعتنى بهذا الباحث بو جمعة محفوظ، في بحث له باسم: الأحاديث المتفق عليها سندًا ومتنًا عند الإمامين البخاري ومسلم، وفي هذا النوع من الاتفاق فوائد عديدة لمن تأملها.

رضي الله عن الإمام البخاري وأرضاه ونفعنا بكتابه وجميع مصنفاته ورزقنا الأسوة والقدوة بعلومه وأعماله.

والحمد لله رب العالمين